الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي –الأغواط–

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأداب العربي

مـذكرة مـــــاستر

تقديم الطالبة: هاجر بورزق

ميدان: لغة وأدب عربي

شعبة: دراسات أدبية

تخصص: أدب عربي قديم

الطلل بين القصيدة الجاهلية و القصيدة الأندلسية

دراسة موازنة

أعضاء لجنة المناقشة:

د.عيسى عطاشي	محاضر(أ)	رئيسا
د. محمد قريبيز	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا
. د. عامر بن مسعود	أستاذ تعليم عالي	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019

شكر وعرفـــــان

"إنّ المعلمين الحقيقيين شفافون كالبلّور ، يَعْبر نور الله من خلالهم " شمس التبريزي.

بمقتضي واجب الوفاء والعرفان أتقدم بأسمى آيات الشكر لكلّ من أسهم في إخراج هذا البحث وأخصّ بالذكر الدكتور قريبيز محمد الذي كان له فضل الإشراف على هذا البحث ورعايته منذ أن كان فكرة إلى أن صار بحثا مستو على سوقه الذي فقد مدّ لي يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث فلم يبخل عني بالكتب والمراجع فقد كان نعم السند و جزاه الله مني خير الجزاء وله مني كل الشكر والعرفان .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة من تقديرا و اعترافا بفضلهم في تقويم ما اعوج من بحثي.

والشكر موصولا لكل أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة عمار ثليجي على ما بذلوه من جهد.

الطالبة هاجر بورزق

إهداء

{وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ }

إلى سندي في الحياة بعد الله" أبي" الذي علمني أن أمضي دوما في سبيل العلم والمعرفة نحو بغية الوصول إلي طموحي وكان داعما لا يمل ولا يكل حفظه الله من كل سوء أبقاه أملا لا ينهي .

إلى من نذرت عمرها في أداء الرسالة صنعتها من أوراق الصبر وطرزتها بيد الحب بنسيج من الدفء "أمي "الحبيبة حفظها الرحمن وأدامها.

إلى مسرات قلبي و اخواتي الثلاث :"حنان و سهيلة و منال" .

وإلى من رفقتني طيلة مسيرتي الجامعية صديقتي عزيزة : ذهيبة عماري ، وإلى الصديق الذي شجعني في إتمام هذا عمل : يسين خلافي.

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث من بعيد أو قريب فلهم مني كل الشكر وجزيل العرفان

مقدمة

المدخل : تحول المسارات التاريخية للمقدمة الطللية

1 العصر الجاهلي

2 العصر الإسلامي

3العصر الأموي

4العصر العباسي

الفصل الأول: فلسفة المكان آثاره

1_ ظاهرة البكاء على الأطلال

2_ الطبيعة المتحركة/ الطير والحيوان

3– صمت الديار

4–تعرية المكان / الرياح والأمطار

5– رحلة الضعائن

6– الأثافي

7– النار

الفصل الثاني :تحولات مقدمة القصيدة الأندلسية

1_ مظاهر الطبيعة الأندلسية

2_أثر التحولات البيئة الأندلسية على نفسية الشاعر

3_الغربة والحنين إلى البيئة الأندلسية

4_الحنين إلى المدن الأندلسية

5_رثاء المدن والممالك

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن موضوع البحث مقدمة القصيدة بين عهدين الجاهلي والأندلسيعرض وتحليل ، يظهر الطلل في جاهلية كان شامخا وكأنه السمة البارزة عند الشعراء الجاهلين ، فقد افتتحوا قصائدهم بالوقوف عليه ،أي وقفوا على آثار ما تبقي من ديار المحبوبة وهذه هي الصورة الشائعة في المقدمة الطللية أن يبدأ الشاعر بذكر الديار وقد عفت أو كادت آثارها أن تمحى ثم يذكر الديار ويحدد مكانها بذكر ما جاورها من المواضع ثم يصفها بعد أن تساقطت عليها الأمطار ، ويذكر كل الجزيئات الصغرى كالدمن وسؤال الديار وتكليمها وذكر المحبوبة وكذا الرياح والمطر والسقيا والزمان والوشم والأثافي،اللآل، الثمام ، الأواري والعرصات وغيرها ، وكل هذا وراءه جزئية كبرى ألا وهي المرأة حنيناو اشتياق وحبا لها . فإذا كان الشاعر الجاهلي قد وقف واستوقف وبكى واستبكى على الطّلل فلأنه عايشه ، فإن الشاعر في صدر الإسلام والشاعر الأموي فقد ذكرا الطّلل فقط لكي لا يسمح بخرق المثال الأعلى لهيكل القصيدة الجاهلية ،وإذا كان الشاعر العباسي قد ذكر الطلل فهو محافظا أو ثائرا عليه.

أمّا في الأندلس فقد ظهر جانب التجديد في النص الشعري وخرج شعراؤه على ما سبق ذكرى لدى شعراء المشرق وهذا حسب اختلاف البيئة الأندلسية حيث كثر التعبير عن الطبيعة وتميز شعرهم بتصوير القصور والبرك و الأنهار وتركز كذلك على مظاهر الحضارة والعمران ومجالس الأنس والخمر أما رثاء سقوط المدن الأندلسية فيعد سببا رئيسيا لإكثار شعراء الأندلس من البكاء على المدن وتوسعوا في هذا الغرض الشعري.

أما المصادر والمراجع فاعتمدت على : "المنازل والديار" لأسامة ابن المنقذ " وقوف على الأطلال "لحسن عزة ، "شعر الجاهلي "لزكريا صيام ،الجاحظ في كتبه "البيان والتبين" و" الحيوان "شرح ديوان زهير أبي سلمى" الإمام أبي العباس بن يحي بن زيد الشيباني "دلالات الطلل والخمر" عند أبي نواس سيزا قاسم" القارئ والنص" . محمد حجازي "الأطلال في الشعر العربي ، دراسة جمالية".

إن من بواعث دراستي لهذا الموضوع فهو الاهتمام بالتراث الأندلسي ، والمغربي الذي لم يحظ باهتمام الدارسين كما حظى صنوة في المشرق العربي ولم يلق العناية الكافية والشافية لعل ذلك كان الحافز الأول .

ومن أهداف البحث أيضا عرض القصيدة الجاهلية ودراستها من خلال المقدمة من وصف وبكاء على الأطلال ولهذه الغاية جمعت نماذج من الشعر الجاهلي والأندلسي للمقدمة الطللية من مصادر قديمة وحاولت جاهدة كشف مواطن الاختلاف البيئة من الصحراء قاحلة إلى سهول وأودية وأنهار ،ويعود اختياري لهذا الموضوع عدة أسباب وهي الرغبة في التعرف على الطّلل في القصيدة الجاهلية ومدى خضوعها للتغير عبر العصور وخاصة العهد الأندلس.و اعتمدت على منهج الوصفي التحليل.

و بناء عليه فالمشكل المطروح من حيث الدور والقصور والأودية والأنهار أثبتت الموازنة اختلافا كبير بين المقدمتين بالنظر لاختلاف البيئة.

وقد جاءت الدراسة مشتملة على مدخل وفصلين ، **فالمدخل** خصص لتتبع مراحل تطور المقدمة الطللية عبر العصور ، أما **الفصل الأول والموسوم ب**: الطلل في القصيدة الجاهلية فذكرنا فيه بكاء على الأطلال ،الطبيعة المتحركة ، عوامل التعرية ، بلاغة الصمت ، رحلة الضعائن ووصف الهودج الأثافي ، والنار وأنواعها وطريقة اشتعالها، **الفصل الثاني الموسوم ب**: تحولات المقدمة لتحولات البيئة فتناولت فيه ظواهر الطبيعة الأندلسية، وأثر التحولات البيئة الأندلسية على نفسية الشاعر وذكرت فيه عشق للمكان ، والحنين إلى البيئة الأندلسية ويتفرع إلى الحنين للمحبوبة والحنين إلى المدن الأندلسية و رثاء المدن والممالك الأندلس.

لنصل في الأخير إلى خاتمة تحصى فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث وهو جانب الأندلسي فكانت دراستنا من قارئ الكتب عبر الأنترنت بكثرة.

ويبقى في آخر المطاف حق الشكر ورد الفضل إلى أستاذ الفاضل: الدكتور قريبيز محمد الذي أشرف على هذه المذكرة وتابعها ووجهنا وزودنا بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول: : المسارات التاريخية للمقدمة الطللية

1 العصّر الجاهلي:

يعد الطلل من أهم الموضوعات التي ترددت في القصيدة الجاهلية لعلاقة وثيقة بإنسانية الشاعر الجاهلي ، وميوله وعواطفه تجاه ماضيه وحاضره[1] وهذا ما يشير إلى حياة كانت هنا واغتربت فكان الشعراء يذكرون كل ذلك فتذرف منهم العيون ذرّفا وتهيم الصّبابة وترتعش في أعماقهم العواطف وتلتعج في قلوبهم المشاعر فينهال الشعر الجميل انهيالا كما تنهال من أعينهم الدموع الغزار حتى تبلّ محاملّهم[2]وهذا · بالنظر إلى طبيعة الحياة الجاهلية وواقعها وعدم استقرارها مما جعلت من الشاعر الجاهلي في كثير من أحيان مندهشا مضطريا خائفا . فحياتهم تنهض على نظام التضعان انتعاجا للكلأ والتماسا لمدافع الماء وارتشافا لمنابعها وارتواء بما في غدارها.[3]

فتبقى الذكرى السعيدة التي نحتت و نقشت في ذاكرته تراوده بين حين وآخر فالشاعر وقف واستوقف وبكى واستبكى من حوله فيجد الوقوف على الأطلال والدمن وسيلة ليعبر بها عن عواطفه الجياشة وتجاربه الحميمة وهذه أيضا فرصة أتاحتها التقاليد الفنية الموروثة يتخفف فيها الشعراء من التزامات القبيلة ويفرغوا للتعبير عن ذواتهم وشخصياتهم.[4] معبرا عن مكوناتها فيتحدث عن الخروج إلى الصحراء للرحلة والصيد التقاء بالرفاق لشرب الخمر ولعب الميسر والسعيّ وراء المرأة طلبا للحب والغزل[5].

---

1) [1]بنية القصيدة الجاهلية ، إعداد طالبة سعيدة علي عبد الواحد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، تخصص الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية ، سنة 2006_2007، ص09.

قال ابن منظور في لسان العرب "...والطلل ما شخص من أثار الديار والرسوم ماكان لاصقا بالأرض وقيل كل شئ شخصه ،وجمع كل ذلك الطلل والطلول (...)ويقال جبا الله طللك وأطلالك أي شخصك(...)أي ما شخص جسدك .أنظر أبو فضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري لسان العرب ، دار صادر بيروت، لبنان 1914-1994م، ص 404-407.

[2]عبد مالك مرتاض السبع معلقات مقاربة سيميائيةانثرويولجية دراسة منشورات ،اتحاد كتاب العرب 1998ص58.

[3]المرجع نفسه ص58.

[4]يوسف خليف ،دراسات في الشعر الجاهلي ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع د.ط،1981،ص123.

[5]المرجع نفسه، ص110.

وقد لاحظ بعض الدارسين أن بوقوف الجاهلين على أطلالهم كانوا يكتفون بتذكر الظواهر الخارجية للديار في سرعة وايجاز ولا يطلبون وصفها ولا يعنون بذكر أجزائها وعناصرهابالتفصيل [1]. ثم إن مسألة الوقوف على رواد المقدمة الطللية كما اتفق معظم الدارسين يعد أمرا عسير المنال من حيث تأكيد هذه الريادة وحصرها في شاعر بعينه لأن عملية التدوين جاءت متأخرة جدا...[2]حتى إن الاختلاف يبدوبيّناً على مستوي تحديد هذا الاسم الذي أشار إليه (امرئ القيس) في بيته:

عُوجـــاَ عَلَى الْطَلَلِ المَـحيل لَعلّنا نَبْكي الديَار كَمَا بَكى ابْنُ خـــــذَام

أشار الشاعر امرئ قيس في هذا البيت شاعر أقدم منه ، وهو ابن خذام ،وقف على الأطلال، وبكى الديار [3]

لقد تعددت ظواهر المقدمة الطللية ومظاهرها ومعانيها من دمن وأثافي وعرصات ونؤى وآل خيم وثمام وأواري وتشبيه الطلل بأنه كتاب منشور أمحّت بعض أجزائه وطمست.

العصّر الإسلامي :

وإذا انتقلنا إلى فترة العصر صدر الإسلام ،فإننا لا نجد اختلافا في البناء الفني للقصيدة العربية وهذا ما تحدث عنه النقاد إذ قالوا أن الشعراء المخضرمين كانوا صدى لنتاج شعراء ما قبل الإسلام من حيث البناء الفني للقصيدة [4]من وصف للأطلال وذكر للديار حتى صار تقليدا راسخا لدى هؤلاء وسموه شعر الوقوف على الأطلال بحيث يعتبر امتدادا واستمرارا للشعر العصر الجاهلي.[5]لذلك بقيت القصيدة

[1]د/عزة حسن شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية ق 3دراسة تحليلية ،دمشق 1388هـ – 1968ص76.

[2]عبد مالك مرتاض السبع معلقات مقاربة سيميائية ،ص50.

[3]الأمدي ،الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، حقق أصوله وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المسيرة ، بيروت ص 1 .405.

[4]ينظر : الصورة الفنية في الشعر العربي حتى نهاية القرن 2هـ، دراسة في أصولها وتطورها د/علي البطل ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر 1980م، ص158.

[5]حسن عزة : شعر الوقوف على الأطلال ص88.

في إطارها القديم لهذا العصر ، ولعل السبب في ذلك تمسك الشعراء العرب بالأصول الفنية للقصيدة الجاهلية وقصر الفترة الزمنية لعصر صدر الإسلام[1].

ونستنتج مما ذكرناه أن هذا التشابه مس الجانب الشكلي للمقدمة الطللية، ومظاهر وظواهر الطلل ومعانيه التي ذكرناها سابقا وكذا دلالته وأبعاده كانت تختلف من العصر الجاهلي فإذا كانت الأطلال في أغلب قصائد الجاهلية توحي بالوحشة ،وتحجب رونق الحياة ، وتشكل صورة من صور الفناء فإنها في الشعر الإسلامي تأخذ دلالات متنوعة ،فهي أحيانا رمز سياسي ، وأحيانا رمز اجتماعي وأحيانا أخرى تقليد فني لنمط القصيدة التقليدية ولكن بشكل جديد[2]

وبما أن حسان بن ثابت يُعدّ من أجود الشعراء المخضرمين فبإمكاننا أن نقترب من إحدى قصائده بغية معرفة صحة هذه الفكرة فهو أحد فحول الشعراء الجاهلين ولما اعتنق الإسلام دينا كان قد أتم الستين من عمره، وهذه السن كفيلة بأن تكسب صاحبها تجربته عميقة وتتضح فكرة،لاسيما إذا كان يتمتع بموهبة فذة وشاعرية[3] جياشة لكنه بقي وفيا لتقاليد القصيدة فنيا ومن قصائده الكثيرة التي يستهلها بالمقدمة الطللية هذه الأبيات التي قالها في الفترة الإسلامية، حيث يقول:[4]

عفتْ ذاتُ الأَصابعِ فالجوَاءُ إلى عذراءَ منزلهاَ خلاءُ

دِيَارٌ منْ بَني الحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعْفِيهَا الرَوامسُ وَ السَماءُ

وَكانتْ لاَ يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ خِلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وَشَاءُ

فدعْ هَذَا ولكنْ من لطيفٍ يُؤَرّقُني إذا ذَهَبَ العِشاءُ

[1]حسين عطوان ، مقدمة القصيدة في العصر الأموي، ط2 ،دار الجبل ،بيروت–لبنان 1987،ص15.

[2]نور الدين السد :الشعرية العربية ،دراسة في التطور الفني لقصيدة العربية حتى العصر العباسي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007،ج2،ص30.

[3]زكريا عبد الرحمان صيام :دراسات في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،د/ط،1984،ص39.

[4] حسان بن ثابت : الديوان شرحه وقدم له: علي مهنا ،دار الكتب العلمية ،بيروت–لبنان ط2،1414–1994،ص17،18.

فما زال يذكر المكان القفر الخلاء بعد أن كان آهلا بالسعادة والهناء حيث الأنس والمروج وحياة الرخاء التي توفرها الشاة و الأنعام .

العصر الأموي:

تميز العصّر الأموي بتغيرات جذرية مسّت عدة جوانب منها الاجتماعية والسياسية والأدبية وبما أننا نهتم بالجانب الأدبي وما قد طرأ عليه من تغيير على خارطة الأدب الأموية فإننا نجد تطور بعض الأغراض الشعرية ونشأة مذاهب جديدة – **كفن الغزل**– فقد ظهر ما يسمي بالغزل العذري والحضري وما يسمي بالنقائض ومن هنا جاز لنا أن ندرس شعر الوقوف على الأطلال عند استخراج أهم المظاهر والمميزات الطللية وقد كان اختيارنا لثلاثة نماذج من المقدمات الطللية في العصّر الأموي وكل منها يتميز بخاصية متفردة.

أولا .الغزل العذري:

ومن أوائل الشعراء الذين برزوا في هذا الغرض الشعري **ذو الـــــرمة** ومن نهج نهجه حيث عاش هؤلاء في البوادي جزيرة العرب إبان العهد الأموي واختصوا بالغزل وحده من بين أغراض الشعر الأخرى وكان هؤلاء الشعراء كلهم عشاقا هائمين حرموا الوصال، ومباهجه فحاروا في الهوى وضاعوا...[1]وقد جعلهم أبو عمر بن العلاء خاتمة شعراء الطلل في الإجادة لأنهم ذهبوا في ذلك مذهب الجاهلية فاحسنوا ،ولذلك قال:فُتح الشعر بامرئ القيس ،وختم بذي الرمة...[2]والملاحظ أنه تميز بإجادة التشبيه حين علق قلبه بمّية بنت عاصم ، واشتهر جل شعره في الغزل بها.[3]فقد كان وأمثاله يأنسون بالمنازل والديار وقد ألقى هذا العطف على شعر هؤلاء الشعراء في الشعر الوقوف على الأطلال ظلالا كثيفة من اللهفة والحنين وجعلهم ينادوا الديار ويجيبونها ويكثرون من ندائها وتحيتها في إقبال وهيام...ويبكون عندها بعد ذلك بكاء مرا طويلا...[4]

---

[1]مرجع السابق ، د/عزة حسين ، الشعر الوقوف على الأطلال ،ص79-80.

[2]جاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبين ،دار صعب، بيروت ط1968،1م 598/1،ص174.

[3]لتفصيل في مصادر ترجمة الشاعر ،أنظر مقدمة (ديوان ذي الرمة) تح د/عبد القدّوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان ،بيروت ط1، 1928، ص174.

[4]د/عزة حسين ، الشعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى ق3دراسة تحليلية ،دمشق 1388هـ-1968 ص79.

يقول ذو الرمة مخاطبا الطلل وهي تجيبه في صمت الدمن:[1]

وَقفناَ فَسَلَّمنَا فَكَادَت بِمُشرِفٍ لِعِرفَانِ صَوتي دِمَنْةٌ الدَارِ تَنطِقُ

فبكاؤه هذا يشفي الوجد حيث تعقبه راحة: [2]

خَلِيلَيَّ عوجاً مِن صُدورِ الرَواحِل بجُمهورِ حُزوى فَابكِيا في المَنَازِلِ

لَعَلَّ انحداَر الدَمِع يُعقِبُ راحةً مِنَ الوَجدِ أو يَشفى نجيَّ البَلابِلِ

لعلَّ هذا ما نستنتجه من شعر الشعراء الذين أنصتوا لأحوالهم النفسية في الغزل والوقوف على الأطلال وولد هذا لديهم الاستقرار لأن هذا الشعر عندهم وسيلة إلى ذكر حالتهم النفسية ووصفها وما كانوا يقصدون وصف الظواهر الخارجية .واللذات المادية بل يقصدون دائما العواطف والأحاسيس النفسية.[3]وصارت الحالة النفسية للشاعر من المعاني البارزة في الوقوف على الأطلال ، ومن جهة أخرى ،قلّ اهتمام هؤلاء الشعراء لوصف الديار وبقاياها وتصوير أشكالها وألوانها[4]

وهذا ما حث عن شعراء الغزل العذري وكيفية تعاملهم مع الشعر والوقوف على الأطلال حيث لاحظنا أنه بدأ يتماهى مع شعر الغزل وأصبح مرتبطا به، وبالتالي تم الاستغناء عن بعض معاني المقدمة الطللية المعروفة عند الجاهلين.

ثـــــــانيا :**الغزل حضري** :سموا بذلك لأنهم نشأوا في حواظر الحجاز في العصر الأموي .ولعل خير من يمثل هذا التيار **عمرو بن أبي ربيعة** الذي كان شعره أعذب أشعار الإسلاميين في صدر الإسلام وعصّر بني أمية ...[5]

وهذه الموازنة بمعاصريه نذكر أنه كان "أرقهم شعورا و أطولهم نفسا و أجملهم حِلية بيانية في تصويره

---

[1] ذو الرمة: ديوان: اعتنى به وشرحه غريبة، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة ،بيروت لبنان ط1، 2006/1427، ص172.

[2]المصدر نفسه ، ديوانه ص220.

[3]أنظر ، د/عزة حسين ، شعر الوقوف على الأطلال ص81-80.

[4]مرجع نفسه، ص81.

[5]محمد حجازي :الأطلال في الشعر العربي ، دراسة جمالية ، دار الوفاء ، ط1، 2002 ص207.

لمشاهد الأطلال التي وقف عليها[1]

وتذكر المصادر أنه لما سمع ثريا و هي إحدى الحسنوات التي تغنى بحبهنّ قد تزوجت و رحلت ذهب إلى بيتها التي كانت تسكن فيه و وقف على أطلالها وقال: [2]

يَا صاحِبَيَّ قِفَا نَستخبِرِا الطللاَ عَن بَعضِ مَن جلَّهُ بالأَمسِ مَا فَعلا

فَقَال لِي الرَبْعُ لَمَّا أَن وَقفْتُ بِهِ إن الخَلِيطَ أَجَدَّ البينَ فَاحتملاَ

لِمَّا وَقَفَنا نُحَيّهِم وقدْ صَرَخَتِ هَوَاتِفُ البَيْنِ واسْتَولتْ بِهِم أصُلاَ

لقد تميزت هذه الأبيات كما يقول محمد حجازي بأنها جاءت في ايقاع قصص مكثف يتميز بالعذوبة والموسيقية السَلسَة في قوة تعبير وأصالة تصوير.[3]وهذا ما دل أنه يستوقف كما استوقف أسلافه الجاهليون لسؤال الأطلال التي غادرتها الحبيبة ، حيث ركز على حالته النفسية ومشاعره الخاصة كما رأينا أيضا لدى شعراء الغزل العذري التقليل من ذكر المعاني التي عرفناها في الشعر الوقوف على الأطلال .[4] بينما عمر بن أبي ربيعة ذكر المنازل والديار كوسيلة لوصف حبه ومحبوباته وسياقة أخباره وتصوير آماله التي ترددت في مُخيلته الفنية...[5]. ولكن على خلاف مقطوعته الأولى التي تشع بالحزن والحنين والذكرى ، يري حسن عزة أن عمرو بن أبي ربيعة قد أخرج شعر الوقوف على الأطلال من نبرة الحزن إلى جو الفرح و الابتهاج ، فلا نجد في شعره الحنين والذكرى الأليمة ، ولا نسمع فيه أنات المحرومين وبكاء المحزونين إنما نحس فيه بالبهجة والطرب.حين قال: [6]

أَلَمْ تَرْبَع علَى الطَّـــــلل ومعْنَى الحَـــــيَّ كَالخَلِلِ

تعْفـــي رسمُه الأَرْوَا حِ منْ سَبَأ ومِنْ شَمَلـــي

---

[1]محمد حجازي، الأطلال في الشعر الجاهلي،ص207.

[2] عمر بن أبي ربيعة : شرح ديوان ، شرحه وقدم له : عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان ، 93هـ د/ط، ص299.

[3]المرجع السابق ، محمد حجازي ، الأطلال في الشعر العربي .ص207.

[4]د/عزة حسن ، الشعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية ق3دراسة تحليلية دمشق 1968ص84.

[5]المرجع نفسه ص84.

[6] المرجع نفسه ص85.

لِهنـــدُ، إنَ هِنْدَا حبها قَدْ كَانَ مِنْ شُغْلِي

وهذه أبيات تبرز وقوفه على الأطلال ولكن بكاؤه ودموعه فيها تشيع فيها بهجة والمرحا.[1]

شعر النقائض والطلل : سميت كذلك من النقض ، أي أنّ على الشاعر الردّ على خصمه بقصيدة من وزن قصيدته وقافيتها ، وهذا النوع شاع كثيرا في العصر الأموي، وإن كان قبله لكنه قليل وغير مطرد فكان الشاعر يعرض لمعاني خصمه فيقلبها أو يفسدها أو ينفيها.[2]ومن فحول الشعراء الذين برزين برزوا في هذا النوع من الشعر **الفرزدق** الذي لم يكن يعتني عناية شديدة بمقدمات قصائده ،و إنما كان يلم بها إلماما سريعا ثم يقفز عنها مسرعا قبل أن يوفيها حقها[3]

ولهذا سنختار نقيضه من نقائضه الدالة التي يهجو بها جريرا ويفتخر بقومه بأنه بدأها بوصف الأطلال الدارسة حيث يقول:[4]

عرفت المنازلَ مِنْ مَهْدَدِ كَوَحْيِ الزَّبُورِ لَدَى الفُرْقَدِ

أَنَاختْ بِه كلِ رَجَاسَةٍ وسَاكبَةِ المَاءِ لَمْ تُرْعَد

نلاحظ من هذه المقدمة " إمعانا بتصوير منظر الديار عناية بتمسك معها بمعظم مقوماتها وتقاليدها ...واستخدم التشبيهات نفسها التي استخدمها الجاهليون وهم يصفون منازل..."[5]. ثم انتقل إلى الحديث عن أهل الديار وفتياتهم الجميلات:[6]

وَلَقَدْ يحُلُّ بِهَا الجميعِ ، وَفيهم حُورَ العُيُونِ كَأَنَّهُنَّ صِوَار

يَأنَسْنَّ عِنْد بُعُولِهِنَّ إذَا اِلْتَقُّوا و أذا هُمُ بَرَزُوا فَهُنَّ خِفَارُ

---

[1]المرجع السابق د/عزة حسن ،ص85.

[2] ينظر،مارون عبود: أدب العربي دار مارون عبود الثقافة ، بيروت ، طبعة جديدة 1968، ص145.

[3] حسن عطوان القصيدة العصر الأموي ، دار الجبل بيروت-لبنان ط2، 1407-1987، ص36.

[4] الفرزدق : شرحه وقدم له وضبطه :علي فاعور،دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنانط1 1407-1987،ص 155.

[5]المرجع السابق ،حسن عطوان ، القصيدة في العصر العباسي ، ص37.

[6] المصدر السابق : ديوان الفرزدق ، ص322.

إن حضور المقدمة الطللية في شعر الفرزدق قليلٌ جدا بالقياس إلى غزارة شعره وسعة ديوانه.[1]وواضح أنه حافظ في جانب من المقدمات الطللية على كثير من عناصرها القديمة وصورها البدوية وهي عناصر وصور استلهم فيها صيغ غيره من شعراء الجاهلية ، بحيث بكاء لا يضيف إليها معنى جديدا ولا صورة مبتكرة وإنما هو فيها مقلد لا مجدد.[2] ولعل ما قدمناه من أمثلة ونماذج يوضح كيف أن شعراء الغزل العذري حافظوا على المقدمات الطللية من حيث التعبير عن الأحاسيس والمشاعر بطول نفس غير مادي ، أما أصحاب الغزل الحضري فكانت حياتهم حياة لَهُو وتفاخر بينهم ، أما شعر الوقوف على الأطلال في قصائدهم فكانت أحاسيسهم فيها يمتزج بين البكاء والبهجة والفرح .

العصّر العبـــــــاسي:

لقد جاء العصّر العباسي بتباياته السياسية أحد أهم العوامل و أبرزها تأثيرا وتأثرا فقد شهد الحكم السياسي عدة تحولات وتغييرات طالت نظام الحكم ومن أهمها تحوّل الخلافة من دمشق إلى بغداد بفضل الجيوش الخرسانية التي غلبت الطابع الفارسي على نظام الحكم السياسي والإداري للدولة العباسية[3].أما الحياة الاجتماعية بشكل عام فكانت حياة ترف ونعيم يكاد ذلك يشمل جميع طبقات المجتمع فمن أبرز المظاهر حيث انتشرت في هذا العصّر المباني والعمران التي تفنن الخلفاء والوزراء في بناء القصور حتى أنّ بعضها كان يشبه مدنا صغيرة تمتلئ بالأبنية والأفقية والأساطين والقباب البساتين والجداول.[4]وبالثقافات المختلفة تغيرت الحياة العامة وطرأت عليها صنوف من ألوان العيش والسلوك ،فتغيرت بيئة الأدب وحياة الأدباء مما نجم عنه صراع بين القديم والجديد والبادية والحاضرة ووصلت أصداء هذا الصراع إلى الشعر حيث قامت جماعة من الشعراء بالثورة والتمرد على بنية القصيدة العربية حيث رفضوا الوقوف على الأطلال فدعوا إلى رفض المقدمات الطللية ووصف الرحلة والاستعاضة عنها بغيرها مما يمارسه الشاعر ويعايشه وعليه نطرح السؤال التالي:

كيف كان موقف الشعراء العباسيون من الوقوف على الأطلال؟

---

[1] د/عزة حسن ، شعر الوقوف على الأطلال ص87.

[2] حسن عطوان ، مقدمة القصيدة في العصر الأموي،ص41.

[3] شوقي ضيف :العصّر العباسي الأول ،دار المعارف ، مصر ط3، د/ت ،ص3.

[4] شوقي ضيف: العصّر العباسي الثاني ، دار المعارف مصر ط4،د/ت ص68.

إن الحضور الطللي في الشعر العباسي واستمراره له ما يبرره على مستوي التجربة الذاتية والموضوعية للشاعر ، ومن هنا لا يمكننا إغفال الظروف التاريخية والاجتماعية وعلاقتها بالنصوص الشعرية وتأثيرها فيها...[1].

ويمكن أن نقسم المقدمة الطللية عند الشعراء العصّر العباسي إلى قسمين هما:

- الشعراء المجددون .
- الشعراء المحافظون التقليديون.

أ –المجددون في المقدمة الطللية:

كما قلنا سابقا أن الشعراء العصر العباسي دعوا إلى التخلي على المقدمة الطللية لأنهم رأو فيها صورة لاتمت بصلة لعصرهم الصاخب ولعل الظاهرة التي شغلت النقاد أكثر مما شغلتهم أية ظاهرة أخرى في شعر أبي نواس هي دعوته في كثير من مطالعه إلى الإعراض عن الأطلال والإقبال على الخمر[2]فأبو نواس زعيم هذه الثورة فدعا إلى نبذ المقدمة التقليدية واستبدالها بأخرى خمرية فنجد في معظم قصائده الخمرية دعوة صريحة واضحة لهجر البكاء على الأطلال حين يقول:[3]

أترك الأطلال لا تعبأ بها إنها من كل بؤس دانية

واشرب الخمر على تحريمها إنما دنياك دار فانية

من عقار من رآها قال لي صيدت الشمس لنا باطية

وقال أيضا:[4]

لاَ تبْكِ لَيْلَى ،ولاَ تَطرِبُ إِلى هِندَ واشْرَب على الوَرْدِ منْ حَمْرَاءِ كَالوَرْدِ

كَأْساً إِذَا انْحَدَرَتْ فِي حَلْقِ شَارِبَهَا أَجَدَتْهُ حُمْرَتِهَا في العينِ والخَدِّ

[1]نور الدين السيد :الشعرية العربية دراسة في تطور الفني للقصيدة العربية حتى العصّر العباسي ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،2007،ج2، ص31.

[2]د/ على يونس: دلالات الطّلل والخمر في شعر أبي نواس، مكتبة الآداب، 1997.ص1.

[3]المرجع نفسه ، على يونس ، ص10.

[4] ديوان أبي نواس: الحسن بن هانئ ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ،بيروت–لبنان ،د/ط ، د/ت، ص18

فهنا يبين أنّ البكاء على الطلل الأحبة لا فائدة منه فشرب الخمر أفضل بكثير منه.

كما لاحظنا له قصائد استهلها بمقدمات خمرية دون ذكر الأطلال والسخرية منها فها هو في مدحه الموجه إلى (ابن العباس) يبدؤها بالخمرية دون التضجر من المقدمة الطللية حين يقول:[1]

غَرَدَ الدِّيكُ الصَّدُوخ فاسْقِنِي ... طَابَ الصَّبُوحَ

واسْقِنِي حَتَى تَرَانِي حُسْناً عِنْدِي القَبِيحُ

أَنا فِي الدُنْيَا العَبَا س أَغْدُوا وَأَرُوحْ

ويقول أيضا مادحا الرشيد:[2]

يا حبذا سفوان من متربع ولربما جمع الهوى السفوان

وإذا مررت على الديار مسلما فلغير دار أميمة الهجران

وقال أيضا:[3]

عَاجَ الشَقِيُّ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُها وَعجِتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَارَةِ البَلَدِ

لا يُرقى الله عينى من بكى حجرا ولا شفى وجد من يصبو إلى وتد

قالوا ذكرت ديار الحي من أسد لا در درك قل لي من بنو أسد

ومن تَمِيم ومن قَيسٍ ولَفَهَا ليسَ الأَعَاريبُ عندَ الله مِنْ أَحَد

دع ذا عدمتك واشربها معتقة صفراء تعنق بين الماء والزبد

يمكن اعتبار أبى نواس أول شاعر حاول ترسيخ المقدمة الخمرية ، والثورة على الطللية إلا أن موقفه غير مبنى على الحجة الأدبية بأن المقدمة الطللية لا تعتبر من الرقي الشعري، بل يرجع إلى أن عصره لاتمت إلى عصر المقدمة الطللية بصلة حيث مظاهر البداوة التي هي شرب كلّ مقدمة الطللية منجهة أخرى

[1] على يونس ، دلالات الطلل والخمر في شعر أبي نواس، ص3.

[2] نفسه ، ص12.

[3] مارون عبود : أدب العرب ، دار الثقافة بيروت ،1967، ص209.

نزعته الشعوبية التي يظهر فيها رفضه للتقاليد العربية الأصالة التي عفا عنها الزمن ولم تواكب التطور من مظاهر الحضارة الترف والمجون.

غير أن هناك البعض من أشعاره تحتوى على ذم بكاء الأطلال وهذا في قوله:[1]

فذاك أشهى من البكاء على الربع وأَلَمِي في الروح والجسدِ

لا سيما إن شدادُ ذو نطق يا دار أَقْوَتْ بالثقِ من جدد

وفي مقطوعة أخرى نلمس من خلال ثناياها تضمين من الشعر القديم والبكاء على الربع.

ومن جانب آخر نراه يدمج بين الأطلال والديار والخمر التي تركها الندامى ، إذ يصف هذه الديار باللغة وتابعهمفي وصفها:[2]

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جرّ الزقاق على الثرى وأضغاث ريحان جنّى ويابس

حبست بها صحبى عندهم وإنى على أمثال تلك لحابس

وفي قصيدة أخرى يختار صورة الطلل وما يتصل به كالمطر والريح والظلمات ليصور حالة من البؤس والوحدة و فيها يأخذ السمت التقليدي المألوف في وصف الأطلال ، ومن أبرز ملامحه ترديد أسماء الأمكنة وتكرار فاء العطف حين يقول:[3]

حيّ رَبعَ الغنى وأطلالَ حسن الحال أقوين من زمان ودهر

جادهَا وابل مُلِث من الإفلاس تمرِيهِ ريحُ بؤسِ وضُرّ

ثاوِياتٌ ما بين دارِ لَقِيطِ ما يُزَايِلْنَهَا فَكُتاب بحرِ

فحِذاءَ الصّباغ من دار تيجات إلى الجدول الذي ليس يجرى

---

[1] المرجع السابق ، دلالات الطلل و الخمر في شعر أبي نواس، ص19.

[2] على يونس: دلالات الطلل والخمر في شعر أبي نواس ، ص21.

[3] نفسه ، ص22.

ترتعى عفر شدة الحال فيها وظبا فاقة وظلمان فقر

ومن هنا ظهر اهتمام أبو نواس بالأطلال فهو يذكرها في مطالع كثيرة من قصائده ويذكرها كذلك في مطالع كثيرة من المقطعات أيضا،ويذكرها في ثنايا القصائد والمقطعات ، ويذكرها تارة أخرى في خواتيمها ويبنى عليها بعض قصائده فيمزج صورة الأطلال بصورة الحياة الإنسانية.قال:

لم يزر من سكانها حادث الأيام إلا فتى أعين بصبر

جوف بيت منها خواء خراب ذهب السيل منه شطرا بشطر

عدم المؤنسين غير كراريس يسلّين همه في قمطر

وفي الأخير نلاحظ حسب ما تقدم أنّ أبا نواس لم تكن الأطلال في شعره حقيقة واقعة بقدر ما كانت رمزا ثريا متعدد الدلالات، ولم يكن الرمز الذي يقابل الأطلال في شعره عادة المنزل العامر أو ما شابهه كما جرى العرف اللغوي ، بل كان الرمز المقابل هو الخمر ، وهي مقابلة غير مألوفة عند غيره من الشعراء ، فكأنه تفرد بها ، فهو لم يستعمل كلمات الطلل والأطلال والطلول ، وكأن دعوته هذه إلى نبذ الأطلال والإعراض عنها كانت في أكثر الأحيان تعبيرا عن كراهية المعاني السلبية التي ترمز إليها الأطلال وكأن دعوته إلى الخمر كانت في بعض الأحيان كذلك تعبيرا عن الشوق .[1]

ب – تيـــــار المحافظين:

إن الثورة التي قادها أبو نواس وغيره من الشعراء على الأطلال والوقوف عليها جعلت من الشعراء يقومون بثورة مضادة من خلال الدعوة إلى المحافظة على تراث والتقاليد القديمة فقد كان لشعراء القرن الثالث مدرسة خاصة في الشعر تخالف في أصولها ومظاهرها مدرسة التجديد التي تزعمها أبو نواس في القرن الثاني حيث لزمت هذه المدرسة جانب الاعتدال والاتزان في شعرها وسلكت سبيلا وسطاً بين القديم والجديد فلم تكره القديم كما كرهه أبو نواس وأضرابه بل كانت تحبه وتحب قراءته لكنها في الوقت نفسه لم تخضع لهذا القديم خضوعا تاما[2]

[1] ينظر، على يونس دلالات الطلل والخمر في شعر أبي نواس، ص 23.

[2] حسن عزة: شعر الوقوف على الأطلال ،ص101.

ومن الشعراء المحافظين: أبو تمام ، أوس بن حبيب ، أبو عبادة البحتري .وسأعتني بنماذج من شعره في بحثي حيث تتميز مقدماته بتوليد المعاني من الشعر القديم وابتكار الصور الجمالية والفنية التي تناسب روح العصّر...[1]

يقول أبو تمامفي مدح محمد بن عبد الملك الزيات:[2]

دَنِفَ بَكَى آيَاتِ رِبْع مُدَنَفُ لَوْلَا نَسِيمُ تُرَابِهَا لَم يُعرَف

طَابَت لِأَقْدَامِ وطِئْنَ تُرَابِهَا فَنَحْنُ نشر لَطِيمَةُ مَعَ قَرْقَفِ

أَرَجُ أَقَام مِنْ الأَحبة في الثَرَى وصَرَي أُرِيقَتْ بالدُموع الذُّرُّفِ

ولقد كان كبير التقليدين في افتتاح القصائد بوصف الأطلال فمن الافتتاحيات الطللية التي جمعت بين التكلف وسلاسة التلقائية ما جاء في مدحه لأحمد بن الكريم فقد استهل قصيدته بقوله:[3]

يَا دَارُ عَلَيْكِ ارهَام النَدَى واهتز رَوضُكَ فِي الثَرى فَتَرَدَى

وكسيت من خلعِ الحَيَا مُسْتَأسِدًا أَنفًا يُغَادِر وَحْشه مُسْتَأسِدًا

طَلَلٌ وَقَفْتُ عَلَيْهِ اسْأَلُهُ إلى أنْ كَادَ يُصْبِحُ رَبْعُهُ مَسْجِدًا

تبدأ هذه المقدمة الطللية بمناجاة دار الحبيبة المتشوق إليها ولأيامها ويمثل الشوق الذي يحمل أمنيات الخير الجميل و يتمنى للدار أن يبللها المطر الخفيف الذي يشبه الندى ،ويصور لنا موقفه النفسي من الطلل المحبوب فهو لا يمل من الوقوف أمامه يسأله ويلج في سؤاله وكأنه الطلل قد صار مسجدا ثم يختتم الشاعر افتتاحيته بالدعاء المعبر عن الحب والإيثار فلولا طلل الحبيبة لما صار قلبه عامرا مؤنسا بالأشواق يقول أبو تمام:[4]

سقيا لِمَعْهَدكَ الذي لولم يَكُنْ مَا كَانَ قَلْبِي لِلصَبَابة معهدَا

---

[1] نور الدين السد: الشعرية العربية ، ج2، ص51.

[2] أبو تمام: شرح التبريزي ، دار المعارف ، مصر ج2،د/ت ، د/ط ، ص434

[3] محمد حجازي : الأطلال في الشعر العربي ، دراسة جمالية ، دار الوفاء، ط1' 2002م ص211.

[4] نفسه،محمد الحجازي : الأطلال في الشعر العربي، ص211.

وهنا تبدو قدرة أبي تمام على التشكيل اللغوي والتصوير البلاغي والانعتاق من القوالب الجاهزة والصور المكررة[1].وعليه نستنتج أن الوصف الأطلال في الشعر العباسي عامة وتيار المحافظين خاصة ليس أكثر من قالب فني تقليدي استغله الشعراء العباسيون وهكذا استطاع الشعراء العباسيون أن يوازنوا بين الذاتي والموضوعي في إبداعهم الشعري[2]، ويقصد بالذاتي عواطفهم وانشغالاتهم أما الموضوعي فهو ما تواتر من المقدمات تقليدية قديمة.

[1]نور الدين السد : الشعرية العربية ج2 ص52.

[2]مرجع نفسه ص50.

1 جزئيات الطلل:

أولا: ظاهرة البكاء على الأطلال/ المكان:

البكاء على الأطلال ظاهرة بارزة في الشعر العربي القديم ، فهو عبارة عن وسيلة للتعبير ولون واضح من ألوان التصوير، ولما كان الشعر تعبيرا عن حالة انفعالية نفسية قد مر بها الشاعر فإن العلاقة بينه وبين البكاء علاقة حتمية ، لأن التعبير عن تلك الحالات الانفعالية ، ووصف تلك الخلجات لا تتم أحيانا ولا يفصح عنها إلا عن طريق البكاء.

لذلك كان الوقوف والبكاء على الأطلال من مميزات الشاعر الجاهلي، خاصية تميز بها الشعراء في العصر الجاهلي، لأن ما تحمله تلك الأطلال من دلالات ذات أبعاد نفسية تدخل داخل الإطار النفسي العام وتسهم في ربط العلاقة بينها وبين الشاعر الجاهلي لتفصح عن مكنونات النفس الجاهلية في أبعادها المرتبطة بالمكان ، والمتمثل في بقايا الديار ، والزمن المتمثل في الماضي بكل ما يحتويه من أحزانه وأفراحه " فالرجوع إلى الاسترجاع يؤكد الوظيفة التثبيتية للزمن من خلال المكان بغية التعبير عن الأسى لفراقه ومحاولة استجماع شظاياه"[1] وهذا ما يدل على أن للشاعر الجاهلي شعورا عميقا بثنائية "الموت "و"الحياة" فحضور الطلل في صنع الفضاء الشعري داخل القصيدة الجاهلية ، وما يرافقه من تجسيد للقلق والوحشة ما هو إلا نمط من أنماطا التعبير التي عمد إليها الشاعر الجاهلي لإثبات الذات أمام المكان فالبكاء على الأطلال هو خطوة أولى بدأ بها الشاعر قصائده ليعبر عن مدى ارتباطه بالمكان :

ثانيا: الطبيعة المتحركة/ الطير والحيوان:

- الحيوانات:

فإن الشاعر الجاهلي في باديته تعايش مع الحيوان في حلّه وترحاله ،في أمنه وخوفه لذا فإن ذكره لتلك الحيوانات يجسد مظهرا من مظاهر الحياة في هذه الأطلال. يقول يوسف خليف :وسط هذا الفراغ

[1] محمد مصطفى علي حسانين : استعداد المكان (دراسة في آليات السرد والتأويل)،رواية(السفينة) لجبرا ابراهيم جبرا (نموذجا) سلسلة آفاق عربية ، 2002 مصر، ص78.

الداخلي في نفسه والخارجي في الأطلال تتراءى له قطعان من الظباء والبقر الوحشي آمنة في مسرحها وكأنها البقية الباقية من مظاهر الحياة في هذه الأطلال الصامة والمتوحشة...[1] فكأن بعد حياة لا يأنس ولا توجد الحياة ألاّ الوحشة والعبوس.

يقول المرقش الأكبر:

أَمْسَتْ خَـــلاءْ بعدَ سُـكَّانِهاَ مُقْـــــفِرَةً مـــا إن بها مِنْ **إرَمْ**[2]

إلاَّ مِنَ **العِينِ** تَرعَـــــىّ بــها كـــــــالفارسِيَنَ مَشَوا في **الكُمَمْ**

بَعْدَ **جـــَمِيعٍ** قد أَرَاهُم لهُمْ قِبَابٌ ،وعليهمْ **نعَـــــــــَمْ**

أما امرؤ القيس فيذكر (النعام) وكأنه لايري في هذا الرسم سوى النعام فهو يصور لنا لحظة التحول، تحول صورة المكان الذي سُلط عليه الزمن فرحل أهله عنه، لكن الحياة بدأت تدب مع استقرار هذا النعام بداخله فالزمن القادر على الإبعاد والتغيير ، هو نفسه الذي يمنح هذا الحياة الأمن والطمأنينة داخل هذا المكان [3]، ومنه قول امرؤ القيس واصفا هذا الطير وبيضه الذي حل محل الأهل والأحبة :

ديار لسلمى **عافياتبذِي خَالِ** ألحَ عليها كلُّ **أسحم هطال**[4]

وتحسب سلمى لا تزال ترى **طلا** من الوحش أو **بيضا بميثاء مِحلالِ**

---

[1] يوسف خليف ، دراسات في الشعر الجاهلي ، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة د/ط، 1981 ص127.

[2] المفضليات: تح. أحمد محمد الشاكر عبد السلام محمد هارون ،دار المعارف ط6،ص229.

ارم: أي من أحد / **العين**: بقرات الوحش/ **والكمم**: القلانس/ **الجميع** : القوم المجتمعون النازلون في موضع واحد/

عليهمنعم : أي لهم أنعام تروح عليهم ، وهيالإبل

[3] سعيد محمد الفيومي، فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، مجلة الجامعة الإسلامية ، مجلد 15، العدد الثاني ،2007،ص 251

[4] زكريا صيام: الشعر الجاهلي ص 213.

العافيات: الدارسات الخاليات/ **ذو خال**: موضع / ألح: دام/ **الأسحم** : الأسود أراد به السحاب / **الهطال**: الدائم الهطلان بالمطر في لبن/ **الطلا**: ولد الظبية/ **البيض**: النعام/ **ميثاء**: أرض سهلة /**محلال** : يكثر النزول الناس بها.

وتحسِبُ سَلمَى لا تزالُ كعهدناَ بوادي الخُزامي أو على رَسّ أوْ عالِ

فالشاعر هنا متأكد أن لن تجد سلمي في هذه الديار الخربة شيئا ذا بال فلا ولدا لظبي ولا بيضاء لطير ولا نزول لأهل ويؤكد ذلك قوله(وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا) لقد حاول الشاعر الجاهلي دائما أن يتخذ من تصوير الحيوانات داخل الطل رمزا كما هو واضح للصراع بين الحياة والموت ، أو يبين الحياة ومصائب القدر، فاتخذها وسيلة لتصوير لحظة التحول هذه ، وهو يصف هذه الحيوانات بحكم وجودها حوله وفي بيئته.[1]

ومرة أخرى يقولون إن الديار قد أقفرت من ساكنها ،وحلت محلها عموم الحيوانات كما قال النابغة الذبياني:

عَهِدتُ بِهَا حيًا كـــــِـــراماً فَبُدّلَتْخَناطلَ آجالِ النِعامِ الجوافِلِ[2]

تَرى كُلَّ ذيّالٍ يُعارِضُ ربـرباً عَلى كُلّ رَجَّافٍ مِنَ الرَملِ هَائِلِ

يُثِرنَ الحَصـــى حَتّى يُباشِرنَ بَردَهُ إذا الشَمسُ مَجَّتْ ريقَهَا ،بِالكَلاَكِلِ

يعتبر "الطلل في قصيدة الجاهلية مكان إنساني يدل على وجود الإنسان في قلب الطبيعة ولكنه إذا كان كذلك فإنه يدل على استقرار قاطن المكان ،فحياة البدو تقوم على الترحال الدائم فاليوم هنا وغدا هناك ولاشك أن الحبيبة التي رحلت وتركت العاشق الولهان تقوم مقام الوطن المفقود كثر ذكر الحنين إلى الأوطانفي التراث العربي "[3]

حقل الطيور :

- **مواضيع ورود الحمام في الشعر الجاهلي :**

أ_ الحمام والطلل: أسهمت البيئة الصحراوية في تشكيل بنية القصيدة الجاهلية ، ومن أهم آثارها كانت المقدمة الطللية كبداية مقدسة في أشعارهم .وتأتي علاقة الحمام بالطلل كعلاقة الألفة ببين الأحبة الذين

[1] سعيد محمد الفيومي، فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، مجلة الجامعة الإسلامية ، مجلد 15، العدد الثاني ،2007،ص 251

[2] ديوانه ،ص63.

[3] سيزا قاسم ، القارئ والنص المجلس الأعلى للثقافة ، 2002 ، ص 54.

سكنوا تلك الديار، وتوزعت هذه الطيور بين النعام و الحمام والغراب والقطا"[1]، ومن الأمور التي أشير إليها في الطلل الأثافي فهذه النار التي أوقدوها أمام خيامهم إختفت من هجرها بعد أن رحلت صاحبة الخصب والحياة ، فأصبحت مزارا يبكي الشاعر الجاهلي في محرابه.

يقول عدي بن زيد العبادي بعد أن يسأل عن الديار التي اختفت ملامحها ولم يبق منها إلاّ الأثافي الثلاث وكأنها هما ثلاث حمامات خوفا من طائر البازي وكأنهن فحم أما النؤي فقد تثلّم ولم يُر إلا كرسم بالقلم:

لمن الدَّار تَعَفَّت بِخيَم أَصْبَحتْ غَيْرَهَا طُلُولُ القِدَم

ما تبِينُ العَيْنُ مِنْ آياتِها غَيْرَ **نُؤيٍ** مِثلِ خَطٍّ بِالقَلَم

صالحًا قَدْ لَفَّهَا فاستوسَقَتْ لفَّ بَازيّ حَمَاماً في سَلَمْ

وثلاثٍ كَالحَمَاماتِ بِهَا عِنْدَ مَجثَاهُنَّ تَوشِيمُ الفَحَمْ[2]

ويصف الشاعر الديار وقد خلت إلا من وشم الأثافي والفحم الذي كأنه وشم في هذه الديار كوشم المرأة وقد أكثر الشعراء الجاهليون من وصف الوشم في لوحة الطلل ، ومرد ذلك كله إلى المرأة ، فالوشم من رموز المرأة الأم فقد ورد" أن الدمى الآلهةحيث كانتتتزين بخطوط أفقية على الجسم و الرأس وكأنها خطوط من الوشم "[3]

ومنه يمكنني تفسير ما ذكرناه سابقا من أن أهم متعلقات المرأة هي النار التي كانت تطهو بها المرأة الطعام فبقيت معبدا مقدسا لا تقوى آثار الطبيعة القاسية على إزالتها، وإطفائها كما تغنى الشعراء بالنار والرماد ، وقد كانت النار مقدسة عند الشعوب القديمة ، فعدت النار لازم من لوازم النساء ، لهذا زاد الشاعربها ودفئها.

---

[1] القيسي ، نوري حمودي . وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، ط1،بيروت ، دار الإرشاد ،1970،ص16.

[2] أبي فرج الأصفهاني: الأغاني شرحه وكتب هوامشه، أ/ علي مهنا و أ/ سمير جابر ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة،ج1، دار الكتب العلمية 1971، بيروت _لبنان .

النؤي و النؤى: الحفير حول الخيمة يمنع السيل جمع آناء .

[3] علي ، فاضل عبد الواحد : عشتار و مأساة تموز ، دار الشؤون الثقافية، ط2، بغداد ،1986، ص23.

فبعد رحيل المرأة ، وقف الشعراء على أطلالها ينشدون الحياة الخصبة الزائلة، ولم يجدوا إلا موقد النار ليقفوا أمامه، وكأنه موروث تتجسد فيه روح الغائب عن المكان ، واستحضر الشعراء صورة الأثافي بصورة الحمام الثلاث ، لأن الحمام من متعلقات الأماكن والديار ، فهو معروف بحنينه للديار ، وكذلك هو رمز من الرموز المرأة هي إن غابت فستبقى رموزها في هذا المكان.

ويقول زهير بن أبي سلمى في قصيدته يذكر فيها أم مبعد ، وأشار إلى رمز الأثافي بعد رحيلها ، وكأنهن حمائم ثلاث خوالد:

غَشيتُ دِيارًا بِالنَقيعِفَثَهمَدِ دَوارِسَ قَد أقوَينَ مِن أُمِّ مَعبَدِ[1]

أَربَّت بها الأرواحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ فَلَم يَبقَإِلا آلُ خَيمٍ مُنَضَّدِ

وغَيُر ثَلاثٍ كَالحَمَامِ خَوَالِدٍ وهَابٍ مُحيلٍ هَامِدٍ مُتلَبِّدِ

ومنه أصبحت الأثافي خالدة بعد رحيل الحبيبة أم معبد ، فبعد انطفاء نار الحياة ، بقيت أثارها مزارا، وكأن آثار الطبيعة القاسية من رياح والأمطار لاتقوى على إزالتها.

وفي قول أيضا بن أبي الصلت وهو يذكر الرياح السواف العاصفات التي تعمل على تغيير المكان ولم تبق إلا الأثافي:

عَرَفْتُ الدَارَ قَدْ أَقوتْ سنِينَا لزينبَ إذ تحُلُّ بها قطينا[2]

و **أَذَعْنَ** بِهَا**حوافلُ**مُعْصفاتٍ كما تذري **المُلَـمْلَمَةُ**الطّحونَا

وسافَرَتِ الرياحُ بهِنَّ عُصْرا بأَذيَالٍ يَرُحْنَ و يَغْتَدينَا

فأبْقَينَ **الطلُولَ مُحنياتٍ** ثلاثاَ **كالحمائمِ** قد صَلِينَا

---

[1]ديوان : زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له :أ/ علي فاعور ، دار الكتب العلمية 2003، د/ط ، بيروت لبنان ص 36.

[2] أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: جَمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، حق : علي محمد البجاوي ، نهضة مصر . د/ط د/ت ، ص 107_108.

أذعن: فرّقن / **الحوافل**: الرياح السريعة المّر/ **معصفات** أي بالتراب / **الململمة** : المطحنة العليا/ **الطلول** : أثار الديار/ **المحنيات** : الدّوادي وهي الصبيان / **الحمائم** : ج حمامة ، شبه بها الأثافي صلين بالنار

تغير الرياح معالم المكان ، ولكن يبقى أثر المرأة ماثل في معبد موقدها ، كذلك اشتغل بنور "عشتار" الراحلة حيث أصبح المكان للصلاة ، فهذا المكان تصمت فيه الطيور كما وقف من قبلها الشاعر واستوقف صَاحِبيهْ .

ويستقى حسان بن ثابت من هذا موروث الأسطوري الصورة ذاتها ، فهذه ديار أم الوليد قد خلت إلا من موقد النار ليذكر بأيام الولادة والخصب والحياة:

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الوَلِيد رُبُوعُ بَلاَقِعُ ما مِنْ أَهْلِيهِنَّ جَمِيعُ

عَفَاهُنَّ صيفِيُّ الربيعِ وَ**وَاكِفٌ** من **الدَّلْوِ** رَجَّافُ السّحَابِ هَمُوعُ

فلمْ يبقَ إلا موقِدُ النّارِ حَوْلَهُ رَواكِدُ أَمْثالُ الحَمَامِ وُقُوعُ[1]

وهذا الشوق الذي أهاج الشعراء ليس بسبب موقد النار ، وإنما ذكرى المرأة هي التي أشعلت عواطفهم.

قال الشاعر:

لِمَنْ **مَنْزِلٌ عَافٍ** كأنَّ رُسُومَهُ **خَيَاعيلُ**رَيْطٍ **سَابَرِيّ مُرَّسَّم**

خَلاءُ المَبَادِي مَابِه غيرُ **رُكَّدٍ** **ثَلاثٍ** كَأَمْثَالِ الحَمَائمِ جُثَّمِ[2]

وبناء على ما سبق، فهناك اتفاق بين عند الشعراء الجاهلين في تشكيل صورة الحمام والرماد والأثافي ، كأنهن معادل موضوع المرأة.

وعندما ذكر الشعراء الأطلال المقفرة ، ووصفوا طيور"القطا"التي عرف عنها الاهتداء إلى الأماكن البعيدة لكنّهاهذه المرأة حارت ولم تعرف ذلك المكان، لغياب أهله ، يقول الشاعر عميرة بن جعل:

ألا يَا دِيار الحيّ بِالبَرَدَان خَلَتْ حِجَجٌ بَعدِي لَهُنَّ ثَمانِ

---

[1]حسنى عبد الجليل يوسف: المرأة عند شعراء صدر الإسلام، د/ط ، د/ت ، ص21.

الواكف : الهاطل / **الدّلو** : اسم أحد الأبراج.

[2] ديوان: حسان بن ثالب ، شرحه أ / عبد أ مهنا، دار الكتب العلمية، 1971، بيروت _لبنان، ص 232.

المنزل العافي: الدارس/ **الخياعيل**: جمع خيعل وهو ضرب من الثياب / **السابري**: الرقيق / **والمرسم**: ذو الرسوم / **الثلاث الركد** : الأثافي وهي الحجارة التي يوضع عليها القدر شبهها بثلاث حمامات جائمة.

فَلم يبقَ منها غير نُؤيٍ مُهَدَّم وغَيرُ أَوَارٍ **كالرَّكي** دِفانِ

وغيْرُ حَطُوبات الوَلاَئِدِ زعزعَتْ بها الرّيحُ والأَمطارُ كلَّ مكانِ

قِفَارٌ**مَرَوْراةٌ** يحارُ بها القَطا يَظلُّ بِها السَّبعانِ يَعْتَرَكانِ[1]

تقف طيور "القطا" بحثا عن سيدة المكان ، في مشهد يجسد الصراع بين الموت والحياة، حيث لم يبق من المكان إلا نؤى قد تهدم وأواري مدفونة وحطب الولائم وسباع الطير تتعارك فتغيرت معالم المكان وحارت فيه "القطا" التي من عادتها الاهتداء إلى المكان.

حيث يصف تميم ابن مقبل ديار ليلى البالية، وقد ذكّره الحمام بأصوات النساء:

فَقُلْتُ لِلقوْمِ: سِيرُوا لا أبا لَكُمُ أَرى مَنَازِلَ لَيلي لاَ تُحَيّينَا

وَطَاسِمٍ دَعسُ آثَارِ المَطيّ بِهِ نَائي المخَارِمِ عِرنِينَا فَعِرنِينَا

قدْ غَيَّرَتْهُ رِيَاحٌ واختَرقْنَ بِهِ مِنْ كُلِّ مَا بأسَيل الرّيحِ يَأتِينا

يَصْبَحْنَ دَعْسَ مرَاسيلِ المَطِيّ بِهِ كَأنَّ وَغرَ قَطاهُ وغرُ حَادِينَا

فِي ظَهرِ مرتٍ عساقيلُ السرابِ بِهِ كأنّ وغرَ قطاهُ وغرُ حادِينا

كَأَنَّ أَصواتَ أَبْكَارِ الحَمامِ بِهِ من كُلِّ مَحْنِيَّةٍ مِنْهُ يُغَنَّينَا

أَصْواتُ نِسْوَانِ أَنْبَاطٍ بِمَصْنَعَةٍ بَجَّدْن لِلنَّوحِ واجْتَبْنَ التَّبَابِينَا[2]

فصوت المرأة لا يخلوا منه هذا المكان ، بل من كل محنية يخرج، ليدل على مكانة المرأة التي كانت تعمر ذلك المكان بصوتها الحنين، وبعد رحيلها أحيت طيور الحمام هذا الصوت الحاني من جديد.

[1] المفضل الضبي : المفضليات : الديوان ، ص259/258. **الركي**: البئر / **المروراة**: التي لا تنبت شيئا ولا ماء فيها

[2] أبي غالب محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب ، اعتنى به :محمد مصطفى محمود زهران ، دار الكتب العلمية 1971، بيروت _لبنان ، ص 65.

ومما يوثق هذه العلاقة بين الأثافي والمرأة ، صورة أخرى أبان عنها الشاعر حميد بني ثور الهلالي، حين شبه الرماد بحجر الإثمد الذي ارتبط بقصة زرقاء اليمامة، حين يقول:

سَبأن**نُحوضًا و السِّبالَ** كأَنما يُنَشَّرُ **ريطٌ** بينهنَّ **صَفيقُ**

فغادرن مسوّد الرمادِ كأنّه حصى إِثمَدٍ بين الصّلَاءِ سحيقُ[1]

يشبه الشاعر هنا مُسْودّ الرماد على إثر ذهاب المطر بحصى حجر الكحل المسحوق في المداق، وهذا ما يدل على حرص بقاء آثار صورة المرأة خالدة ، وأراد الشاعر أن تبقى آثار الديار صامدة ، كبقاء آثار حجر الإثمد في عروق الزرقاء وشْما وإكتحالا.

- الغراب والطلل:

أ –الغراب والفراق: احتل الطير مكانا فسيحاً في فكر الإنساني الجاهلي ومعتقداته ، وكان له في الشعر الجاهلي أهمية كبرى ، لأنه يشكل بنية أساسية من بنى العقلية الجاهلية وعقيدتها ، وكانت نظرة الإنسان نظرة أسطورية تدعو للشؤم والموت[2] ويعد الغراب أهم الطيور التي أثرت في حياتهم اليومية ، لأنه يعد طائرا قبيحا يوحي بالشؤم ، فهو من أكثر الطيور التي تردد ذكرها في هذا المجال ، فنعيقه ينبئ بتفرق الأحبة [3]ورؤيته تنبئ بالموت والخراب لذلك أطلقوا عليه اسم غراب البين.

وفي هذا المعني يقول عنترة :

ظَعن الذّين فِراقهم أَتَوقَّعُ وَجَرى بيْنَهُم الغُراب الأبقعُ

حَرِقُ الجَناحِ كَأَنَّ لحي رَأْسه قِلمانُ بالأَخبارِ هشٌ مولعُ

فَزَجَرتهُ أَلاَ يُفَرَّخَ عُشُهُ أَبَدًا وَيُصبحُ واحد يَتفَجّعُ

---

[1]حميد بن ثور الهلالي : الديوان ، د/ط ، د/ت، ص65_66.

نخوضى ، السبال: موضعان ، الريط : الملاءة / صفيق: تصفقه الرياح.

[2]ينظر ،الرباعي، عبد القادر : الطير في الشعر الجاهلي ، ط1، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1998، د/ط ،ص65.

[3]المرجع نفسه، ص115.

إلىّ الذينَ نعيت في فراقهم هم أسهروا لَيلَى التّمام فأَوجعُوا[1]

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يصور لنا الغراب الأبقع الذي أنذره بالرحيل أحبابه وكأن فكيه مقص يقطع الأواصر فزجرهعنترة ودعا عليه بقطيعة النسّل فلا يفرخ عشه ، وبأن يبقى وحيدا يندب الأهللأنه كان سببا في بعده عن من أحب ، فهو سبب الفراق الذي أسهر عنترة أطوال ليالي الشتاء.

وتجلّى حبّ عنترة لعبلة ولوعته من فراقها بوضوح في كثير من قصائده ، وقد أدى الغراب الدور الأساسي في التعبير عن هذا الفرق، لأن الغراب رمز من رموز الفراق من رموزه ، بل هو السبب فيه ، ويتضح هذا في أبياته الآتية :

أُسائلُ عَن فَتاةِ بَنِي قُرَادٍ وَعَن أَترابِها ذاتِ الجَمالِ

وَكَيْف يُجِيبُني رَسمٌ مُحيلٌ بَعيدٌ لا يَرُدُّ عَلى سُؤالِي

إِذا صَاحَ الغُرابُ بِهِ شَجانِي وَأجْرى أَدمُعي مِثلَ اللآلِي

وأخبرني بأَصنَاف الرَّزَايا وبالِهجرَانِ مِن بَعدِ الوِصَالِ[2]

رحلت عبلة عن الديار ، فأصبح عنترة وحيدا بائسا يسأل الأطلال عنها، ولكن هيهات أن يجيبه هذا الرسم المَحيل الذّي تحول من حال إلى حال وعندما صاح الغراب بهذه الديار الخالية ، فرؤية الغراب في دار محبوبته ذكرته بالهجران والمصائب وعلى هذا فالغراب رمز من رموز الفراق.

و يمضي يتساءل يائسا هل يمكنه زيارتها بعد أن ابتعدت عنه؟ ويعترف بأنه لم يفزع إلا حين علم بارتحال "ابل "حبيبته التي كانت تَسِف حب الخمخم بين الديار وفي ذلك انذار بالفرقة والبعاد ويذكر أن عدد الابل كان اثنين وأربعين ناقة حلوبة من انفس النوق إذ أن لونها أسود كخوافي الغراب الأسود مما يدل على غنى محبوبته [3]يصرح بذلك حين يقول :

---

[1]محمد معز جعفورة : في الذاتية عنترة أنموذجا ، ص97.

[2]الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني،: نفح الطيب ،شرحه و ضبطه د/ مريم قاسم طويل و يوسف علي طويل ج4بيروت _لبنان 1971، ص60.

[3]أنظر زكريا صيام ، دراسة في الشعر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1984، ص286..

كَيف **المزارُ** وقد تربّع أَهلُها بعُنَيزتَيْنِ وَأَهلناَ بالغَيْلمِ

إن كُنت **أَزْمعتِ** الفِراقَ فَإنّما زُمَّت رِكَابُكمُ بليلِ مُظْلِمِ

ما رَاعني إلاَ حَمُولةُ أَهلها وَسْطَ الدِّيار تسفُّ حَبَّ **الخِمخِمِ**

فيها اثْنتانِ وأَربعُون حلُوبة سوداً كخافيهِ الغُراب **الأَسْحم**[1]

نلاحظ عن هذه الأبيات السابقة عبور الشاعر إلى الماضي الذي استرجعه في الحاضر والاندماج فيه وذلك من خلال الشوق والحنين إلى الأماكن التي عاش فيها(عنيزتين، الغَيلم) .

ومن الصفات التي التصقت بالغراب، أنه ينبئ برحيل الناس عن ديارهم ،كدليل على خلاء الديار من أهلها وفي ذلك يقول عنترة :

يَا دار أَينَ تَرحَّلَ السُّكَانُ وغَدَت بِهِمْ مِنْ بعدنَا الأَظعانُ

بِالأَمْسِ كَانَ بِكِ الظِّباءُ أَوَانساً واليَومِ في عَرَصاتِكِ الغِربانُ[2]

فالشاعر هنا يخاطب الديار ويسألها عن أهلها الراحلين ، أين رحلوا و أين حلّت بهم الأظعان، فلقد كانت الديار بالأمس عامرة بأهلها تأنس بها الظباء ، أما اليوم مُقْفرة العَرصَاتفهي خالية من أهلها لا يوجد في ساحاتها سوى الغربان المشؤومة على أطلالها تدور وتنوح ، فالغربان من صفاتها أنها لا تسكن إلا في الأماكن المهجورة فهي دليل خراب الديار.

وفي موضوع نفسه يقول عبيد بن الأبرص:

زعَمَ الأَحِبَّة أَنّ رِحلَتَنا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَّرَنا الغُرابُ الأَسوَدُ[3]

فالشاعر علم أنّ محبوبته سترحل غدا، فساءه الرحيل و أحزنه ، والغراب هو الذي أخبره بهذا الفراق.

---

[1] عنترة بن الشداد ،ديوان ، ص11.

المزار: وهو البيت/ **أزمعت**: عزمت ونويت/ **الخمخم**: نبات تعلفه الإبل/ **الأسحم** : الأسود (ينظر ديوان عنترة)

[2] سيرة :عنترة بن شداد، ج الثالث عشر، المجلد الثالث، المكتبة العلمية الحديثة،1980، ص281

[3] عبيد بن الأبرص : الديوان ، شرح أشرف أحمد عدرة،ط1 ،بيروت _ لبنان ، دار الكتاب العربي1994، ص50.

نلاحظ من خلال الأشعار الواردة في هذا المبحث أن الغراب مرتبط وثيق الارتباط بموضوع فراق الأحبة وهذا الارتباط لم يقتصر على موضوع الفراق والرحيل وحسب، وإنما بعضها يدخل في موضوع الزجر والعافية والتطير الذي سيتم بحثه لاحقاً في موضعه.

ب_الغراب واكل الجيف: ومن الصفات التي التصقت بالغراب ، أكّله الجيف و أجساد القتلى في معارك وكذا كان الناس يخافون منه على قتلاهم في الحروب ، ووظّف المهلهل بن ربيعة هذا الأمر في الأبيات الآتية حين يقول :

وَابكِين مَصرَعَ جيدِهِ مُتَزَمَّلاً بِدمائِهِ فَلذاك مَا أَبكَانِي

فَلَا أترُكَنَّ بِه قَبائلَ تغلِبٍ قَتلى بِكُلّ قرارة وَمكان

قَتلى تُعاوِرَها النُّسُورُ أَكُفَّها يَنهشنهَا و حَواجِلُ الغُربانِ[1]

فالمهلهل يتوعد البكريين ويهدّدهم ، فهو عاقد العزم على الثأر لأخيه كليب ، حيث إنّه سيملأ الأرض بجثث البكريين وسيجعل النسور والغربان تأكل من أجسادهم.

وشبيه بهذا ما قاله عبيد بن الأبرص حين هدّد امرؤ القيس :

أتوعِدُ أسْرتي وَتَرَكتَ جُحراً يُريغُ سَوادَ عينيه الغُرابُ[2]

ومن صفات الغراب أيضا ، أنه يتبع المسافرين للأكل ، وفي ذلك يقول كعب بن زهير:

غُرَابٌ وَذِئْبٌ يَنظُرانِ متى أرى مُناخَ مَبيتٍ أو مقيلاً فَأَنزلُ

أَغارا عَلى ما خَلَيْتُ وَكِلاهُما سَيُخلِفُهُ مِنِي الذي كانَ يَأمُلُ[3]

فالذئب والغراب ينتظران مبيت الشاعر أو قيلولته لكي ينالا من الطعام أو الشراب، وهذه الصفة موجودة في معشر الغراب.

[1] مهلهل بن أبي ربيعة، الديوان شرح طلال ، بيروت دار العلمية ،1993، ص84.

[2] عبيد بن الأبرص : الديوان ص26.

[3] كعب بن زهير : الديوان ، حققه وشرحه الأستاذ علي فاعور ، دار كتب العلمية ، بيروت_ لبنان 1971، 70.

والحطيئة يؤكد هذه الصفة الموجودة في الغرببقوله:

وتضحي الجبالُ الغُبرُ دوني كأنها من **آل حُفّت** بالمُلاء **المعضَّدِ**

وَيُمسِي الغُرابُ الأَعوَرُ العَيْنِ وَاقِعاً مَعَ الذِئبِ يَعتَسّانِ ناري وَمِفادي[1]

وحين يمسي الشاعر الغراب والذئب يبحثان عن الطعام بالقرب من محل إقامتي ، فالغراب يلحق المسافر أينما حلّ كي يأكل من بقايا طعامه.

ثالثا:صمت الديار:

ومن الجزيئات الأخرى التياعتادهاشعراء العرب في الشعر الوقوف على الأطلال أن ينادوا الديار بعد الوقوف عليها كما اعتادوا أن يسألوها عن أهلها الذين كانوا حلولا فيها في الماضي واعتادوا أيضا أن يطلبوا إليها تكليمهم وتحديثهم عن أخبارهم.[2]

ونذكر المصادر أن أول من وقف واستوقف وبكي واستبكي هو امرؤ القيس في مقدمته ذكر منازل المحبوبة والبكاء على الأطلال مصورا مرارة الفراق ،حين يقول:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنزِلِ بِسِقْطِ اللّوَى بين الدَّخول فَحومَلِ

فَتُوضحُ فالمِقْراةِ لمْ يَعفُ رسمها لَمَا نَسَجْتُهَا من جَنُوبٍ وشمَائِل

تَرَى بَعرَ الأَرَامِ في عَرصاتها وَقبعانها كأَنهُ حبُ فُلفُلِ

كأَني غَداة البَينِ يومُ و ارتحلوا لدىَ سَمُراتِ الحيَ ناقفِ حنظلِ

وُقوفا بها صَحْبِي على مطيهم يقولونَ لاَ تهلكَ أسى وتجملّ[1]

---

[1]الحطيئة: ديوان، برواية وشرح ابن السكت ، دراسة د/ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت 1971_ لبنان. ص69.

آل : السراب/**حفت**: أدير حولها/ **المعضد** : الذي فيه خطوط .

[2]د/ اسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة الغريب ،ط2، ،ص23.

خاطب الاثنين صاحبيه ولكن في حقيقة المخاطب واحد ، فكان بكائه بين يدي ذكرى حبيب ومنزلها الواقع بمنقطع الرمل المعوج بين الدخول "فحومل فتوضح فالمقراة" حيث لم يندثروا ما تبقى من تلك الديار لأن ريح الشمال إذا غطته بالتراب كشفته ريح الجنوب، وكذلك تفعل ريح الشمال إذا غطته الأخرى وكأن الشاعر الجاهلي يريد أن يقول ان هناك نسبة طردية عكسية بين الريحين فإذا هبت إحداهما وغطت الأطلال جاءت الأخرى وكشفتها والمستفاد من هذا الكلام أن الأثار الشاخصة تحرك مكان أشجان الشاعر "[2]

أما الأبيات الأخرى فتكشف أن بعر الظباء منثورا في ساحات الدار كدليل على مغادرة أهلها واستبدال قاطنيها من البشر الحيوانات واتخاذهاكأوكارٍ لها ، مشبها صورة البعر المنثور هنا وهناك بحب الفلفل فجعل من بعر الظباء منظرا جميلا مأنوسا لمكان محبوبته أما هو فكأنه يوم تحملوا وارتحلوا عنه وقف عند شجر الطلح يجني حنظلا ويشقه ليستخرج ما بداخله من حب مُرّ المذاق .[3]

أما النابغة الذبياني يخاطب الديار التي كانت تقيم فيها محبوبته (مية) على طريقة الشعراء الجاهلين وكأنهم في استهلالهم القصائد بذكر المرأة وديارها ينشطون أفئدتهم وأفئدة سامعيهم للإنصات إلى الغرض الذي من أجله انشئت تلك القصائد كقوله:

يَا دارَ مية بالعلياء فالسند أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ[4]

وقفت فيها أصيلا أُسائلُها عَيَّتْ جوابا مال بالرَّبعِ من أحد

إلا الأواري لأْياً ما أَبِّينُهَا والنُّؤْيَ كالحوضِ بالمظلومة الجلدِ

ردت عليه أقاصيهِ ولبّده ضرب الوليدةِبالمِسحَاة في الثَّأَدِ

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا أَخْنَى عليها الذي أخنى على لُبَدِ

[1]زكريا : الشعر الجاهلي، ص 176.

[2] ينظر، زكريا صيام: الشعر الجاهلي ، ص177.

[3] ينظر زكريا صيام: الشعر الجاهلي ص177.

[4]نفسه ، ص 428.

لقد أقفرت الديار وطال زمن من هجرها ، ووقف الشاعر على الأطلال يسائلها عن حال محبوبته لكنها عجزت عن الجواب وليس فيها من أثر غير الأوتاد والنؤى التي تشبه الحوض الذي حفر في أرض صلبة وكلمة (مظلومة) يطلق على الأرض التي لم تحرث ولم تزرع وكذلك ظلم أهلها لعدم عناية بها ، أما الحوض فقد رُدّت عليه الأتربة ، والديار قد أمست قفرا خالية من أهلها الذين ارتحلوا عنها وطال عليها زمن الهجر فأبلاها الدهر كما أبلى طير(لبد) المشهور بطول العمر"[1]

وقال أيضا:

طَالَ الوُقُوف على رُسُومِ الدّيار قَفْرٍ ،أسائِلُهَا وما اسْتِخْبَاري

دَارٌ تَعَفتُ ،لاَ أَنِيسَ بِجَوَهاَ إِلاَ بَقَايَا دِمْنَةٍ و **أَوَارِى**

جَادَتْ عَلَيْهَا رُسومُها هَزِجُ الرِّياح بديمَةِ مدْرارٍ[2]

لقد طال وقوف الشاعر على دّيار محبوبته ولم يجد أنيسا فيها وقد خلت من أهلها ولم يبق منها إلا بقايا أوتاد مرابط الخيل التي بقيت ملامحها فقط من كثرة ما فعلته بها الرياح والأمطار على مرّ الأيام.

وفي قول ذو الرمة يشير إلى ذلك :

خَليليّ عوجا عوجَةً نَاقَتَيْكُمَا على طَلَلِ بين **القَرينة** و**الحَبْلِ**

بجَرْعائِها من **سامِرِ** الحيّ مَلْعَبٌ و **آرِيُّ** أفراسٍ كجُرّثومَةِ النَّمْلِ[3]

فالشاعر يزور أطلالا قد بقيت ورحل عنها أهلها وقد وجد فيها رملا قد ارتفع ولم يبق من هاته الأطلال سوى بقايا مرابط الخيل وقد شبهها بما يخرجه النمل من التراب.

ومنه قول امرئ القيس أيضا:

---

[1] ينظر: زكريا صيام : الشعر الجاهلي ، ص368.

[2] المنازل والديار : أسامة منقذ ، ص86. **أوارى** : جمع آرى ، وهو محبس الدابة، وعروة تثبت في حائط أو وتد تشد فيها الدابة.

[3] نفسه، ص 124 .**القرينة**: روضة بالصمان، وقيل: واد/ **الحبل**: موضع بالبصرة على شاطئ الفيض ممتد معه/ **السامر**: اللذين يسهرون ويتحادثون بالليل/ و **الآرى**.: المربط ،/ **الجرثومة** :كل ما ارتفع من الأرض.

يَـــــادَارَعَاوِيّة بِالحَـــائِلِ فَالسّهب فَالحَبِيـــبَيْنِ مِنْ عَاقِل

صَمَّ صَدهَا وَعَفَا رسمها واستعجمت عَنْ مُنْطَقِ السَائِلِ [1]

ومن هذا يظهر أن الدموع والشكوى كان لهما النصيب الأكبر في حياة الشاعر المعبر عن ضجره من الديار الخالية من أهلها مكونة لديه اتجاها محددا في وضع التفاصيل الفنية والموضوعية التي تحمل مرارة الحياة وقسوتها وهو يقف على الأرض لم يحفل بأيامها ، ولم يأنس بشبابه وصباه فيه .

لقد أطال عنترة الوقوف على الديار ، وأطال في سؤالها وتكليمها حتى لم تحر له جوابا ، يطلب منها أن تتكلم وتحدثه عن محبوبته ولكنها لا تجيب كالأخرس ، ويبقى واقفا يستذكر ارتحالها وانتقالها فليس له بُدّ من أن يذكر رحيلها وما تركته في نفسه من أثر ولوعة شاكيا بلا بِله إلى الأثافي السفع، يقول في ذلك:

أَعْيَاكَ رَسْمُ، الدَّارِ، لم يَتَكَلَّمِ حتى تَـــكَلَّمَ كَـــالأَصَمِّ الأَعْجَمِ

وَلَقدْ حبستُ بها طَويلاً ناقتي أَشكُو إِلى سُفْعٍ **رواكدَ جُثَّم**

يَا دارَ عبلةَ بالجِواءِ تَكلّمي وَعَمِى صَباحاً دار عبلةَ واسلمي

دَارٌ لآنسَةٍ **غَضِيضٍ** طَرْفُه طَوعِ العَناقِ لَذِيذةِ المُبتسِمِ[2]

وقال أيضا في رواية أخرى يذكر المواقع التي أوقف فيها ناقته فيها بعد أن عفت رسومها:

هل غَادر الشُعراء منْ **مُتَردَّم** أَم هلْ عَرفتَ الدّارَ بعدَ توَهُمِ

يَا دارَ عبلةَ بالجِواءِ تَكلّمي وَعَمِى صَباحاً دار عبلةَ واسلمي

---

[1] امرؤ القيس الديوان أعتنى به وشرحه عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة بيروت ،لبنان ط2 2004-1425 ص141.

[2] بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني : المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ، تح : محمد باسل عيون السود ، الجزء الثاني، بيروت –لبنان 1971، ص168.

أعياك رسم الدار: أي خفى رسم الدار لدروسه فلم تستبين به الدار إلا بعد نكار وتثبت / **رواكد** : المقيمة الساكنة / **جثم** :الثابة في الأرض / **غضيض** : تغض بصرها

فَوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فَدَنّ لأقْضي حاجَة **المُتَــلوّم**

وتَحَلُّ عبلةُ بالجوَاءِ وأهلنَا بالحزن فالصمان **فالمتثلم**

حُيِّيتَ منْ طَلَلٍ تقادم عهْده' أَقوى وأقْفرَ بعد أُمِّ الهيثم[1]

يذكر الديار هنا على طريقة الشعراء الذين سبقوه أوعاصروه، فيتساءل: هل ترك لنا الشعراء مجالا إلا وسبقونا إليه؟ أم أن معرفةديار المحبوبة بعد شك وتوهم لبعد العهد بها؟ فهو هنا يخاطب دار "عبلة "بالتحية الصباحية راجيا أن تردها و أن تكلمه عن أهلها ،أوقف ناقته بعض الوقت في تلك الدّيار مشبها دارها بقصر عظيم في ضخامتها ، ويحدد مكان حلوله بمكان حبيبته بأنها في "الجواء" بينهما مواضع "الحزن "فالصمان""فالمتثلم" ، ثم يلتفت إلى الطلل ليكرر التحية قائلا: أخصك بالتحية أيها الطلل من بين الأطلال الأخرى فقد طال عهد هجرك و اقفرت بعد أن ارتحلت عنك الحبيبة"[2]

ج:تعرية المكان/ الرياح والأمطار:

ويعد الطلل أهم تلك المظاهر ، وقد شغل شطرا كبيرا من أشعار الجاهليين فكان بالنسبة للقصيدة الجاهلية مرحلة شعرية تمرّ من خلالها أحاسيس الشاعر الجاهلي ، ويبسط بعدها أفكاره للتناسق في إطار موضوع متكامل ، فتسهم خفقات الطلل في إيجاد مناخ عاطفي يعبر فيه الشاعر عن فترة زمنية ذابت بين حناياها أعز الأيام واندثرت عند نؤيها أغلى ذكريات الصبا[3]

كما يقف الشاعر الجاهلي معبرا عن أحاسيسه التي راودت نفسه، مرتبطا بمشاهد العفاء والخراب فسير رياح الشمال والجنوب الصبا على الأطلال ،جعلها تُسْغِيكل شيء فيه إلا النؤي الصامد أمام قوة الرياح وعنه عبر بشر بن أبي خازم الأسدي في قوله:

---

[1]عنترة بن شداد: الديوان ، اعتنى به وشرحه ، حمدوطماس ، دار المعرفة ،بيروت _لبنان ، ط2، 2004،ص11.

متردم : وهو الموضع المكان / **المتلوم**: الماكث فيه/ **المتثلم**: اسم موضع

[2]أنظر زكريا صيام ، دراسة في الشعر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1984، ص286.

[3] أنظر : الحوفي ، أحمد محمد ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ط4 مزيدة ومعدلة ، مصر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، د.ت ، ص186.

لَعِبتْ بها ريحُ الصِّبا فَتَنَكَّرتْ إلا بقية **نُؤيِها** المتهدِّمِ[1]

أما الأعشى فقد ذكر الطلل وهو يهب هبوب ريحين الصبا والشمال في فصل الصيف:

ما بُكاءُ الكَبيرِ بالأطلالِ وَ سُؤالي فَهَلْ تَرُدَّ سُؤَالِي

دمنةٌ قَفْرَةٌ تعاورها الصيـ ـفُ بريحَين من صباَ وشمالِ [2]

إلا أن البكاء على الأطلال لن يجدي نفعا وهو يعلم أن سؤاله عن المحبوبة لن تجيب عنه الدمن القفرة التي تعبث بها الرياح

و إذا عدنا إلى شعر بشر بن أبي خازم الأسدي، فإننا نجده يصور الأطلال ، وقد عفتها رياح كثيرة من بينها الرياح المعصفات، يقول :

فأجزاعِ اللِوى فبراقِ خَبْتٍ عفتْها المعصفاتُ من الرياحِ[3]

أما امرؤ القيس :

حيّ الدِّيار التي أبلى معالمها عواصف الصيف **بالخرجاء** والحِقَبُ[4]

وتعفي رياح الصيف العاصفة الأطلال ، فتحاول إلحاق الأذى بما بقى من معالم بالديار عامة فتبليها.

وتَرِبُّ الرياح بالديار كل عشية لتمحي كل المعالم فلا تبقي غير الأعمدة(الآل) التي تبنى عليها الخيمة فتبقى دون إعفاء يقول زهير بن أبي سلمى في ذلك:

---

[1] الديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، د/ط، د/ت، ص 141.

النؤي: الخندق الذي يحفر حول خيمة

[2] ديوان الأعشى : ميمون بن قيس، ص1.

الدمنة: آثار الناس ، تعاور الناس الشيء تداولوه ، وتعاورت الرياح الدار تداولتها ، فمرة تهب جنوبا ومرة تهب شمالا.

[3]مصدر السابق، ص44.

أجزع : جمع جزع، وهو رمل لا نبات فيه: انظر : لسان العرب، مادة جزع / **اللوى**: منقطع الرملة / **الخبت**: ما اتسع في الأرض / **المعصفات**: الشديدات.

[4]الديوان : امرؤ القيس ، ص 140.

الخرجاء: موضع ، أنظر لسان العرب مادة (خرج).

أَرْبَتْ بها الأرواحُ كلَّ عشيةٍ فلمْ يبق إلا آل خيمٍ مُنَضَّدٍ[1]

نرى ذلك أيضا في قول لبيد بن أبي ربيعة العامري :

هَلكَتْ عامِرٍ فلم يبق منها بِرياضِ الأعرافِ إلا الدِّيارُ

غير **آل** و**عنةٍ** و**عريشزعزَعتْها** الرّياحُ والأمطارُ[2]

فلم تكن الرياح وحدها كافية لإعفاء الأطلال ، وطمس معالمها ، لذا كانت الأمطار أيضا عاملا من عواملالنحت وإخفاء الأثر ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

عَفَا مِنْ آلِ فاطِمةَ الجِواءُ فَيُمْنٌ فَالقَوَادِمُ فالِحساءُ

فَذُو هاشٍ فميثُ عُرَيْتنَات عَفَتْهَا الريحُ بعدكِ والسماءُ[3]

ويقول النابغة الذبياني في رسم سعاد: ومنه يتساءل فياستفهام تعجبي ، يقول : أتعجب من مباعدتنا الرسم الجديد من دار سعاد؟ أو يتعجب من مرورنا بجانب رسم سعاد الجديد الذي هلكت أثاره فصار طرقا متسعة؟ والذي محا أثره اختلاف الرياح عليه وتتابع الأمطار ، وشبه السحاب برجل صدق وعده عن طريق الاستعارة المكنية وذلك في قوله:

عفا **آية** ريحُ الجنوب مع الصبا و**أسحمُ دانٍ** مُزْنَهُ متصوِّبُ[4]

---

[1] المرجع السابق منازل والديار، أسامة منقذ، ص91.

أربت: دامت ولزمت/ **الآل**: جمع آله وهو عود له شعبتان يعرض عليه عود آخر ، ويلقي عليه ثمام يستظل به./ **المنضد**: الذي جعل بعضه فوق بعض.

[2]ديوان: لبيد بن ربيعة العامري ،تح: د/ عمر فاروق الطباع ، ط1/ هـ1417=1997م بيروت_ لبنان، ص73.

وفي رواية أخرى : غيرتها الرياح / **الآل**: عيدان الخيمة/ **العنّة** : الحظيرة تجعل من الأغصان / **ذعذعتها**: بددتها وفرقتها / **العريش**: الظلة من السعف .

[3]ديوان: زهير بن أبي سلمى ، شرجه وضبطه: د/ عمر فاروق الطباع، بيروت-لبنان، ص11.

عفا المكان: درس/ الجواء ويمن و ما تلاهما: مواضع في أرض غطفان/ ذو هاش وعريتنات :موضعان/ الميث: الأراضي الرملية اللينة/ السماء: يقصد المطر ، يقول: إن الرياح والأمطار أبادت معالم هذه المواضع.

[4]الإمام أبي القاسم محمود بن محمد الزمخشري: الكشاف ، رتبه و ضبطه :محمد عبد السلام شاهين، ج1، دار الكتب العلمية 1971،بيروت _لبنان،ص88.

ومن طقوس الاستمطار اقتران صورة المطر بالطلل ، حيث يركز فيها الشاعر على الدعاء بالاستسقاء لديار المحبوبة ، كما فعل طرفة بن العبد لمّا دعا لديار خولة بالسقيا من مطر وصيفي ربعيّ أدرته ريح الجنوب مع صوته مع صوت جميل كزجل الحمام ورعد كأنه احتفال صاخب[1]ولنضع إليه في قوله:

لِخَولةَ **بِأَجْزَاعِ** منْ **اضَمٍ** طَلَلْ وبالسَّفْحِ مِنْ **قوٍّ** مُقَامٌ و **مُحْتَمَلْ**

تَتَرَبَّعُهُ ،مِرْبَاعُهَا وَمَصِيفُهَا مِياهٌ منَ الأشرافِ يُرمَى بهَا **الحَجلْ**

فلاَ زَالَ غيثٌ مِنْ ربيعٍ وصيفٍ على دَارِهَا ،حيثُ استقرَّتْ لهُ **زجلْ**

مَرتْهُ الجَنوبُ ثم هُبَّتْ لهُ الصّبَا إذَا مسَّ ،منهَا مَسْكنًا ،عُدْمُلٌ نزَلْ

كأنَّ الخَلايَا فيه ضَلتْ رِبَاعُهَا وعوذًا إذَا ما هذه رَعدُه احتفلْ[2]

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته الدعاء بالسقيا قال كتقليد من تقاليد الطللية حين استشهد بقول القائل:

أَسقى طلولهمُ أَجَشُ هذيمُ وغَدَتْ عليهِم نُضْرَةٌ وَنَعيمٌ[3]

أو بسؤال السقيا لها من البرق كقول الشاعر:

يَا بَرقُ طالِع مَنْزِلاً بالأَبْرِقِ واحدٌ السّحابَ لهَا حِذاءَ الأنيقِ[4]

كما ذكر الشعراء المطر في مواضيع أخرى، منها اقترانه بصورة الثور الوحشي الذي غالبا ما نراه يرعى الكلأ فإذا استعرضنا شعر بشر بن أبي خازم وزهير بن أبي سلمى وأبو ذؤيب الهذلي على سبيل الأمثلة

عفته الريح: أهلكته ودرسته/ **والآي واحدة آية** : بمعني العلامات والأثار / **الأسحم**: السحاب الأسود ، **الداني**: القريب .

[1]أحمد موساوي: طقوس الاستمطار في الشعر الجاهلي، مجلد مقاليد، العدد10/ جوان 2016، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، ص،137.

[2]ديوان: طرفة بن العبد، شرحه : د/ عمر فاروق الطباع ،دار القلم ،ص75.

الأجزاع: منعطف الوادي/ **اضم** :جبل/ **قو**: واد في الأرض قبيلة نمير/ **المحتمل**:الظعون والارتحال يشير إلى آثار ديار خولة وموضع إقامتها قبل الرحيل /**المرباع**: مكان الاقامة فبي الربيع/ **الحجل**: الطير المعروف يشير إلى اقامة خولة في الربيع والصيف عند مياه هذه الجبال التي تصاد بها طيور الحجل/ **الزجل**: صوت الرعد ،وفي بيت دعاء لخولة بدوام الخير في دارها.

[3] ابن خلدون: : مقدمة ، دار الكتب العلمية 1971، بيروت– لبنان، ص490.

[4]نفسه : ابن خلدون ، مقدمة،ص490.

لوجدنا صورة الثور الوحشي تتكرر بكل عناصرها وبخاصة وصف الطبيعة الماطرة في ليلة ظلماء ، واحتماءه بشجرة الأرطاة ثم تصويره ، وهو خارج من تحت هذه الشجرة عند بزوغ الشمس ، متأهبا للقراع.

وخير مثال اخترناه من شعر للنابغة الذبياني قوله:

بَاتَتْ لَهُ **لَيْلَةُ شَهْبَاءُ تَسْفَعُهُ** **بِحَاصِب** ذاتَ إِشْعَانِ وَأَمْطَارِ

وَباتَ ضَيْفًا **لِأَرْطاةٍ** ، وَأَلْجَأَهُ مع الظَّلاَم إليْهَا **وابِلٌ سَارِي**

حَتى إذَا مَا انْجَلَتْ ظَلْمَاءُ ليلتِهِ وَأَسْفَرَ الصُّبْحُ عنهُ، أيّ إسفارِ

أهوَى لهُ قَانصُ يَسعى بِأَكْلُبِهِ عَارِي الأَشاجِعِ مِنْ قَنَاصِ **أَنْمارِ**[1]

فالطبيعة في هذه الأبيات غاضبة بجوها الغائم الماطر وبرقها الذي يلمع ثم يخبو وريح ثائرة تسفع الثور بالحصى ولذلك يلجأ إلى شجرة الأرطى لضخامتها، فيقضي الليلة إلى جوارها محتميا من البرد حتى يسفر الصباح فتهاجمه كلاب الصيد.

إن اهتمام العرب بالمطر وتعلقهم بالسماء جعلهم يعتقدون أن للنّجوم دورا في نزول الغيث أو امتناعه فجعلوه فعلا للكواكب أوحادثا عنها . فقد قالو :"انّ لابد لكل كوكب من مطر أو ريح أو برد أو حرّ وإذا مضت مدة الأنواء ولم يكن فيها مطر قيل أخوى نجم كذا"[2]، أما الجاحظ فيبين غرض العرب من علم الأنواء لم يكن في أول الأمر إلا لمعرفة أوقات المطر والاهتداء بسير النجوم في أسفارهم إذ يقول ضمن حديثه عن الأعراب " ومن الجهة عرفوا الآثار في الرمل ،وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء ، لأنّ كل من كان بالصّحاصحالأماليس ، حيث لا أمارة ولا هادي مع حاجته إلى بُعد الشقة ، مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤذيه ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب ، ولأضنّه بالحياة ، اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث لأنه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من الكواكب ، ويرى التعاقب بينهما والنجوم

[1] أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ط4، 1436هـ=2015م دار المعرفة بيروت-لبنان ص463.

ليلة الشهباء: يوم أشهب تهب فيها ريح باردة،/ **تسعفه**: تلفعه وترميه/ **الحاصب**: الريح تقذف بالحصباء وهي الحصى/ **الأرطاة**: شجرة مرة" الوابل: المطر الغزير/ **الساري**: يسح بالليل/ **أنمار**: اسم قبيلة مشهورة بالصيّد.

[2] أحمد موساوي: طقوس الاستمطار في الشعر الجاهلي،ص138.

الثوابت فيها ، زمان يسير منها مجتمعا ، وما يسير منها فردا وما يكون منها راجعا ومستقيما"[1]ومنه قول الأسود بن يعفر بين يوم مولده وما فيه من أنواء بقوله:

وُلِدتُ بِحَادِي النّجم يتلو قرينه وبالقلب قلب العقرب المتوقّد[2]

ولاعتقاد العرب أن النجوم مقترنة بنزول المطر أو انقباضه قسموها إلى نوعين النحوس والسعود ، كقول عبيد بن الأبرص:

وَلَتَأْتِيَنْ بَعدِي قُرُونٌ جَمَّةٌ تَرْعَى مَخارِمَ أَيْكَةٍ وَلَدُودَا

وَ الشَّمْسُ طَالعَةٌ وَلَيْلٌ كَاسِفٌ وَالنَّجمُ تجرِي أَنْحُسًا وَسُعُودَا[3]

وهذا ما نلتمسه ضمن هذا البيت الحكمي الذي يعبّر فيه الشاعر عن تجربته و معايشته لأحداث كثيرة يذكر فكرة نحوس النجوم وسعودها والأنواءالمحمودة التي حمدت لغزارة أمطارها وطيب هواءها أما الأنواء المذمومة فبسبب قلة أمطارها وقلة برودها .أهم ما نستخلصه من المطر في الفكر الجاهلي هو أن بواسطته تعود الحياة والأمل وبانعدامه يكون القحط مما دفعهم إلى أن يكونوا في حالة من الأمل والدعاء إلى الاستسقاء منها وكل ما تعلق بالاعتقاد بالنجوم ونوئها ، كما استعملوا النار والبقر الوحشي في محاكاة نزول الغيث.

لقد سببت تلك الأماكن وما تحمله من علامات ، ورسوم – لبعض الشعراء- الآلام والأحزان تاركة في قلوبهم فراغا كبيرا وجرحا عميقا وكأن الأمطار والدعاء بالسقيا لتلك الديار معادل موضوعي للدموع.

ففراق الأحبة والبعد عنهم جعل المكان يسهم بمدلولاته المختلفة في تحريك احساس ومشاعر الشاعر الذي أصبح وحيدا في هذا الوادي، فتأثرت ذات الشاعر باللحظة الزمنية الماضية وبالمكان الذي كانت فيه فأصبح المكان عاملا من العوامل المسببة في بعث الذكريات والأحزان في نفسية الشاعر، فظهور

---

[1] ينظر، الجاحظ: الحيوان ،تح: عبد السلام محمد هارون، ج6، الطبعة الثانية، ص30.

الصحاصح: الأرض المستوية الواسعة / الأماليس : ج إمليس : وهي الأرض الملساء لا شجر بها ولا كلأ ولا نبات / الأمارة: العلامة/ الشقة: السفر البعيد / الفارد: المنفرد.

[2]المرجع السابق، الطقوس الاستمطار في الشعر الجاهلي ،ص138.

[3] عبد القادر عمر البغدادي : خزانة الأدب ، تح: عبد السلام محمد هارون،ج2، ط4، 1418هـ=1997م،مطبعة المدني بالقاهرة، ص215.

علامات الحزن النص حملت مدلولا نفسيا مكانيا عبر الشاعر به عبر التصوير المتخيل لما حدث لحظة وقوفهعلى الطلل ولم يكتف الشاعر ببث حزنه وشكواه لمفارقة أحبته فانظر إليه وهو يبث شكواه في قوله:

بَكَى فَأَعَرْتُهُ أَجْفَانَ عَيْنِي وَنَاحَ فَزَاد إِعوَالِي عَوِيلاَ

فَقُلْتُ لَهُ جَرَحْتَ صَمِيمَ قَلْبِي وَأَبْدَى نَوْحُكَ الدَّاءَ الدَّخيلاَ

وما أَبْقتْ في جَفْنِي دُمُوعاً ولا جِسْماً، أَعِيشُ بِهِ ، نَحِيلاَ

وَلاَ أَبْقى لِي الهِجرانَ صَبْراً لِكَي أَلْقى المَنازلَ و الطُّلُولاَ[1]

فالبكاء جسد اللحظة الطللية ، فكان البكاء في هذا الطلل "تعبيرا عن ظاهرة طبيعية ترتبط بما تفرضه البيئة الصحراوية على كل مسافر فيها "[2]فطول معاناة الشاعر ، ومدى تعلقه بمحبوبته ،دفعه إلى الرجوع إلى الماضي كوسيلة لتحريك أحاسيس الشاعر جعله يشعر بعدم الراحة والأمان ، فبعده عن المكان الذي عاش فيه والحنين إليه جعله يستذكر ذكريات كانت في هذا المكان .

لقد أسهم الطلل بشكل كبير في بكائية الشاعر الجاهلي وحزنه ، فلا نجد قصيدة من القصائد المعلقات الجاهلية إلا وفيها ظاهرة البكاء على الأطلال فأصبح من علامات الوقفة الطللية يعبر بها الشاعر عن الحزن والفراق ، فهو بكاء معنوي أكثر منه حسي " فبكى وشكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل سببا لذكر أهلها الضاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد و ألم الفراق وفرط الصبابة " [3] يقول عنترة :

فكم أبكى بإبعادٍ وبين**وتشجيني المنازلُ** وَالطُّلولُ

---

[1] المرجع السابق : شرح ديوان عنترة ،ص114.

[2] يوسف الخليف: دراسات في الشعر الجاهلي، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ط11981ص126.

[3]ابن قتيبة : الشعر والشعراء والطبقات الشعراء ' حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحة ،ط1 1418-1997م دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ص20.

وَكَمْ أبكي على إِلْفٍ شَجَاني وما يُغْني البُكاءُ ولاَ العَويلُ[1]

فالطلل لا يقتصر على المكان الخرب الذي رحل عنه الأهل فحسب بل تجاوز مدلوله إلى العلاقة التي تربط بين الطلل والحبيب ، فإذا كانت الحبيبة هي منبر العاطفة والحب فالأطلال هي الأثر الذي تركته في نفسه

بعد رحيلها ،فإذا بعدت عن الشاعر فديارها حلت محلها لأن الحبيبة وديارها هي وحدة متماسكة .

فالشاعر في هذه المقدمة وكأنه يعيش مأساة حزينة أساسها الفراغ الذي يستشعره بعد رحيل صاحبته[2]

ويقول عنترة بن شداد:

عَفَى الرسومَ وباقي الأطلالِ **رياحُ الصَّبا** و تصرُّمُ الأَحوال

لعَبتْ بعافيها وأخلقَ رَسْمُهَا وكيف كلَّ مُجَلْجلٍ هَطَّالِ[3]

فلم يبق من المنازل والديار سوى الأثار، التي تشير إليها ،فقد طمست وأمحت رسومها لعبت بها الرياح والأمطار ، لعل هذا ما استدعي فيض وتأجج مشاعر أمام هذا المنظر الحزين وتأثره بالمشهد الذي كان عليه حيث كان يعج بالناس ولآن أصبح فارغا ومرعبا .فكان ذلك خير تعبير عن" الصّراع الأبدي في نفس الإنسان ، وفي الحياة من حوله بين حب الحياة وغريزة الموت"[4].

وفي هذا النص ، نجد أن المكان جاء ليعمل على صعيدين ، صعيد أحداث صادمة انفعالية حين شاهد الشاعر خراب المكان ، وصعيد آخر لصورة وجدانية وما يتعلق بالحب والأحاسيس ، و يمكن أن يكون هذا هو الذي دفع بالشاعر أن يشكوا الحزن والأسى ليعبر عن معاني دفينة يقول عنترة:

---

[1] الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنترة ،ص117.

تشيجني المنازل : أي تحزنني و تبكين .

[2] مرجع السابق: يوسف الخليف، دراسات في الشعر الجاهلي. ص126.

[3] الخطيب التبريزي : شرح ديوان عنترة ،ص117.

رياح الصبا : الرياح الطيبة التي تهب من المشرق

[4] عطوان حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف ، مصر ، ط 1، 1970،ص 219.

لِمن طللٌ بِوادي الرَّمل بالي محتْ آثارهُ ريحُ الشمال

وَقفتُ به وَ دمعِي مِنْ جُفُونِي يَفيضُ على مَعانيه الخَوَالي

أُسائِلُ عَنْ فتاة بَنِي قُرادٍ وَعن أَترَابهاَ ذَات الجَمالِ

وَيْفَ يُجيبني رسمُ مُحيل بعيدُ لايُرَدُّ على سُؤالي

وَإذَا صاح الغُرابُ به شَجَاني وأجْرَى أَدْمُعي مثل اللآلي

وأخبرني بِأَصنافِ الرَّزايا وبالهجران من بعد الوصالِ[1]

وفي هذه المقطوعة يتساءل الشاعر عن الطلل و ما أصابه من خراب و اندثار بسبب رياح الجنوب والشمال حدث و ما حدث له من تغيرات فتحول الطلل بذلك من مكان عادي إلى مكان روحي بطابع قدسي فصورة المكان الخالي موحي بالخراب والدمار وتوظيف الغربان رمز للشؤم والبين والفراق الحبيبة من ذاك المكان ، فالبعد والحنين في هذا المشهد الطللي هو الدافع الأساسي في تكوين للحظة الطللية لدى الشاعر لأنه مزج المكان بالحبيبة التي بعدت عنه يبرز حقيقة الألفة و الانسجام بينه وبين المكان الذي تحول فيه المكان إلى ذاكرة حافظة للفعل الإنساني[2]

يقول زهير بن أبي سلمى :

قِفْ بالدَّيار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

لا الدار غيرها بعد الأنيس ولا بالدار لو كلمت ذا حاجة صمم

دار لأسماء بالمغمرين ماثلة كالوحي ليس بها من أهلها أرم[3]

---

[1] الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني،: نفح الطيب ،شرحه و ضبطه د/ مريم قاسم طويل و يوسف علي طويل ج4بيروت _لبنان 1971، ص60.

[2] يوسف غليمات : جمالية تحليل الثقافي _ الشعر الجاهلي نموذجا_ دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 2004، ص133.

[3] ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلام الشنتمري ص37.

يضعنا الشاعر أمام الديار مباشرة (قف بالديار) ليرسم لنا صورة تتردد بين الخراب :

"بلى وغيرها الأرواح والديم" وبين عدم الخراب "لا الدار غيرها بعد الأنيس ولا" فالشاعر يستخدم حاسة البصر ليحقق من خلالها أكبر قدر ممكن ، من جماليات المكان الموصوف ،فعلى الرغم من قفار هذه الديار من أصحابها فإنه يراها لاتزال حية ولم تتغير فهذه الأبيات تحكمها صفتان هما الثبات الدار ، وخلوها من الأهل إنها وقفة تبدوا قصيرة لكنها تملأ النفس شجنا على من فارق هذه الديار ، فيحاول أن يظهر لنا عنصر الثبات والبقاء داخل عنصر الهدم والتحول"[1]

يقول عبيد بن الأبرص:

تَغَيَّرتِ الدِّيـــــــارُ بِذي الدَفْيْنِ فَأَودِيَةِ اللَّـــــوي فَرِمَالِ لَيْنِ

فَحرَجَيْ ذَرْوَةٍ فَقَفَا ذَيَـــــالٍ يُعَفَـــى آيَةُ سَلَفُ السَّنين[2]

فقد تغيرت آيات الديار وتعفت لأن مّر السنين قد بعدت بها الأيام غناها بأهلها وساكنيها .

لقد جعل الشعراء حوادث سببا في خراب الديار كالرياح وما تذروه من الرمال سواف والسحاب وما ينشأ عنه من الأمطار والسيول .

قال النابغة الذبياني:[3]

أَمِن **ظَـــــلاَّمَةَ** الدِمنُ **البَوالي بِمُـــــــرُفَضِّ الحُبَيِّ** إلى **وُعَالِ**

تعـــاوَرَهَا **السَـــواري** و **الغَوادي** وَمَا **تُذْري** الرِيـــاحُ مِنَ الرِمالِ

ويقول زهير بن أبي سلمى:

---

[1] د/ سعيد اليومي ، فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي ، د/ط ، د/ت ، ص247.

[2] ديوان عبيد الأبرص ص132.

[3] النابغة الذبياني: ديوان ، شرح وتقديم : عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية 1971،ص49.

ظلامة: امرأة / **الدمن البوالي**: الآثار الزائلة/ **المرفض**: الرمل/ **الحبي و وعال** : مكانان/ **السواري**: هي الأمطار السارية في المساء/ **الغوادي**: الأمطار الهاطلة في صباح الباكر / **تذري**: تنثر.

أمن آلِ لَيْلَي عرَفتُ**الطُّلُولاَ** ؟ بذِي حُرضٍ **مَاثِلاَتُ مُثُولا**

بَلَيْنَ وتحسب **آياَتهُّن** عن فرطِ حَولينِ رقاَ مُحِيلاَ؟[1]

لقد استدعت الديار وما بقى منها ذكريات الشاعر ، وحياته التي عاشها في الديار التي لم يبق منها سوى الأثار والمعالم وإن هذا الوقوف دال على ذكريات دفينة في داخله.

إن لحظة الوقوف يذرف الشاعر لها الدموع كقول عنترة :

فَوَقَفْتُ فِي **عَرْصاتها مُتحيّراً** أَسلُ الدّيارَ كَفِعلِ مَنْ لم **يَذْهلِ**

لعِبَتْ بِهاَ **الأَنواءُ** بَعدَ أَنِيسُها و**الرَامِساتُ** وَكُلُ جَوْنٍ مُسْبلِ

أَفَمِنْ بُكاء حَمَامةٍ فِي أَيكَةٍ ذَرفتْ دُمُوعُكَ فوقَ ظَهْرِ **المَحْملِ**[2]

فوقفه على هذه الديار أحزنه لأن الأمطار و الرياح لعبت ومحت أثارها ورسومها ، فلم يعد من أنيس كان فيها ، إلا حمامة تنوح فوق شجرة ، لم يتمالك نفسه أمام نواح الحمامة فسالت دموعه ، فشكلت هذه الصورة بكائية الشاعر وحزنه وأعطت علامة واضحة على مدى ارتباط الشاعر الموقفالطللي في هذا المشهد.

ومن الشواهد على عرصات ،قول مالك بن الريب :

تَحَمَّلَ أَصْحَابِي عِشَاءً وغَادَرُوا أَخَاثِقَةٍ في **عَرْصَةِ** الدَّارِ ثَاوِيًا[3]

---

[1] زهير بن أبي سلمي : الديوان ، شرحه وقدم له: أ/ علي فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ص95.

الطلول: الواحد طلل : ما شخص من آثار الديار ، **ذو حرض** : واد بالمدينة عند أحد/ **الماثلات**: المنتصبات

[2] الخطيب التبريزي ،شرح ديوان عنترة ص125.

عرصاتها: وهي ساحة الدار/ **متحيرا** : أي قد غلب عليه الحزن والحيرة / **الأنواء** : الأمطار التي نزلت بالديار فمحت رسومها/ **الرامسات**: الرياح القوية وسميت بذلك لأنها ترمى الأثر وتدفنه / **المحملِ** : حمالة السيف.

[3] المرجع السابق ، الديار والمنازل ، ص 206.

وقال أيضا:

أَحَبُّ الأَرضِ أَرْضٌ دَمَّنُوها وكَان لهم بِها يومًا قَرارُ[1]

هـ_ الديار:

برزت الأماكن مقترنة بأسماء الأعلام في القصائد الجاهلية لدى الشعراء،ومن هنا قد نشير إلى مكان من هذه الأماكن وهو "دار جلجل" في البيت العاشر من معلقة امرئ القيس :

ألا رب يوم منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جلجل[2]

فدار "جلجل" هذه موضع يقال له الحمى، وهذا الموضع يرتبط في حياة الشاعر بمغامرة خاصة وعرفت هذه المغامرة بيوم دار جلجل أو يوم الغدير .

فالطلل يجمع بين الإنساني والطبيعة وهو مرحلة بين الوجود والعدم ، بين الحضور والغياب بين السعادة والشقاء ،بين الحياة والموت وهذه المرحلة الانتقالية بين التذكر والنسيان هي التي تثير في النفس الشاعر من شجن وحزن وفرح في نفس الوقت[3] وقد تنبه الأصمعي إلى هذه الدلالة عندما قال في شرح امرئ القيس :

قِفَا نبكِ مِنْ ذكرى حَبِيبٍ ومنزِلِ بِسقطِ اللوى بين الدخولِ فحوملِ

فَتوضَحُ فَالمِقراةُ لم يعفُ رسمهَا لمَا نسجْتهَا منَ جنوبٍ وشَمأَلِ [4]

في هذين البيتين مجموعة من الأماكن (سقط اللوى، وحومل، فتوضح، فالمقراة، الدخول) فمن هذه الأماكن لم يعد سوى بقايا أثار الديار لم تندرس بعد شكل كلي ،وقوله "لم يعف رسمها" هو موضع التعليل وللبكاء ، لأنه لو عفت هذه المواضع ، أو عفا رسمها لاستراح العاشق ، وفي بقائها أشد حزن له ، كقول ابن أحمر :

عرصة : وهو من عرصة الدار : وسطها ، وقيل هو مالا بناء فيها سميت بذلك لاعتراص الصبيان فيها ، أي لنشاطهم فيها.

[1] منازل والديار ،ص 156 .

[2] سيزاقاسم،القارئ والنص.، ص57.

[3] ينظر ، مرجع السابق ،القارئ والنص ، ص 53.

[4] زكريا صيام ، دراسة في الشعر الجاهلي ، ديوان المطبوعات 1984، بالجزائر،ص 176.

أَلَا ليتَ المنازِلَ قَد بِلِينَا فلا يَرمِينَ عن شُزُنٍ حزننا[1]

وكأنه تمنى دروسها حتى لا يبقى منها أثر ، إذ في ذلك استراحة له ، ومعنى البيت " ليتها بليت حتى لا ترمي قلوبنا بالأحزان و الأوجاع[2] لأن الأماكن تحتفظ بين طياتها ذكرى شخوص وأحداث معينة.

فالشاعر يبحث عن ذكرى الحبيب لا الحب نفسه ، فالحبيب في حكم عالم الزوال تقابله ذكرى باقية ذكرى مدفونة في الطلل وهذا ما نلتمسه في معلقة زهير بقوله :

أَمن أمِّ أَوْفَى **دِمْنَةٌ** لم تَكَلَّمِ **بِحَوْمَانَة** الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلّم

وَدَارُ لَهَا **بِالرَقْمَتَيْنِ** كَأَنَهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرُ مِعْصَم

بها **العَيْنُ** و الأَرامُ يمْشينَ خِلْفَةً و**أَطْلاَؤها** يَنْهَضنَ مِنْ كُلّ مَجْثَم

وقفت بها بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أَثافِي **سُفعا** في معرس مرجل و**نؤيا** كجذم الحوض لم يتثلم[3]

فالعودة إلى الطلل قد يتكرر ، وقد يمضي من الزمن عشرون عاما قبل أن يستعيد الشاعر هذه الذكرى ومن هنا تأتي صعوبة التعرف على الطلل بالنظر إلى الدراسة وغموض معالمه وكذا تقادم العهد به حيث لم يتعهد المكان إلى بعد عشرين حجة.

ولذلك يكون التعرف على الطلل صعبا وظنينا فالطلل مبهم وغامض وهذا الغموض يجعل قراءته صعبة ومضنية[4] وفي هذه الأبيات يعدد ذكر لأماكن العالية مثل" حومانة الدراج، الرقمتان "الرقمتان إحداهما

---

[1] عبد القادر بن عمر البغداوي ، خزانة الأدب 1030_1093، تح : عبد السلام محمد هارون ، ج 11 ط1403هـ _ 1983، القاهرة ، ص 21.

[2] مرجع السابق ، ص 53.

[3] زكريا صيام ،دراسة في الشعر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،1984، الجزائر ص311.

أم أوفي : كنية حبيبة الشاعر/ **الدمـــن**: جمع دمنة ، ودمنه الدار أثرها ، وماسودوا ، وقيل: ماسودوا من آثار البعر وغيره / **فالمتثلم***: موضع/ **بالرقمتين**: وهو مجتمع الماء في الوادي./ **حومانة**: مواضع بالعالية

[4] مرجع السابق ،القارئ والنص ، ص54.

قرب المدينة وأخرى قرب البصرة، وإنما ذكرها هنا من حيث انتجعت ، أي طلبت المرعى[1]على رمزية للوفاء والخصب والعطاء.

✓ **خامسا: رحلة الضعائن ووصف الهودج وبناءه :**

✓ **بناء الهودج وصناعته:** يصنع الهودج من عدد من الأخشاب الرقيقة سهلة التشكيل تقوس على شكل يشبه القبة، تعلو منبسطا من أخشاب أقوى منها ويكسى الهودج كله أعلاه و جوانبه بنسيج من صوف وغيره ويزين بالألوان والزخارف ويبطن فلا يبرز من أخشابه سوى بعض أطرافه كمقابض من الخارج لحمله أو إنزاله والهودج في مجمله شبه بمظلة تقي من بداخلها وكل العوامل الخارجية تمثل البرد والريح والبشرية رؤية الناس بداخلها ومما نلاحظه أن الهودج عمل لستر المرأة أثناء ركوبها على بعير فقد قرن منذ عرف بالمرأة، فهوخاص بها"[2] ومنه قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

تبصرُّ خليليّ هَلْ تَرَى من ضعَائِن تَحمَلن بالعُلياء من خون جرثم

بكرنَ بُكُورًا و استحرن بسحرة فهن و وادي الرّس كاليد في الفم

ويبدو أن صناعته وتجهيزه زخارفه كلها من عمل نساء البادية"[3]

ب ــ زينة الهودج : لقد اهتم العرب بزينة الإبل اهتماما كبيرا ولاسيما فيما يوضع ويربط فيها ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الجمال بأسلوب بليغ وإيجاز ولا ينبئك مثل الخبير وذلك في قول تعالى: { وَ الأَنْعَمَ خَلَقهَا لَكُم فِيهَا دِفءٌ وَمَنَفِعٌ ومنهَا تَأْكُلُونَ 5 وَلَكمْ فِيهَا جَمال حينَ تَرِحُون وحينَ تَسْرحُونَ} [النحل/6]

وحين أراد لفت الانتباه خلقه إلى خلقها فقال سبحانه وتعالى : {أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلي إِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}[الغاشية/17]

---

[1] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ،ص 4،5.

[2] ينظر: درّيّة عبد الحميد حجازي: الظعينة في شعر العصر الجاهلي، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنوفيةص1078.

[3]المرجع نفسه ص 1079.

ومن أهم أدوات الزينة هي : الرحل، الوضين، الخطام، الغبيط ، الرجازة ، النحيزة

أ – الرحل : وهو السّرح الذي يوضع على الناقة من أجل أن يجلس عليه الراكب، حيث قال لبن سيده : رحلت البعير ، أرحله رحلا ، ارتحلته وضعت عليه الرّحل وجاء في الشعر القديم ذكر الرحل ووضعه

على البعير يقول المثقب يتحدث عن ناقته:

إِذَا مَا قمتُ أرحلهَا بِلَيْل تَأوّهُ آهة الرّجلِ، الحزين[1]

ب – الوضين: هو الحبل أو الرباط ويصنع غالبا من الصوف أو الشعر وينسج نسيجا مع مراعاة تداخل الألوان لإعطاء منظرا جميل ، ونجد في شعر ذاكرا لهذا المثقب العبدي أيضا :

إذا قلقت أشد لها سنافا أمام الزور من قلق الوضين[2]

ج- الغبيط: هو الهودج الذي يجعل على ظهر البعير فوق الرّحل وتجلس فيه المرأة وهي ستر ، مع الملاحظة مقبقب ، وقال امرؤ القيس:

ويوْم دَخلت الخِدر خِدرَ عُنيْزَة فقالت: لك الويلات إنّك مِرجلِي

تقَول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيسِ فانزلِ[3]

د- الرجازة: كساء فيه حجر ، يعلق به بأحد جانبي الهودج ليعدله إذا مال [4]

قال أحدهم:

عدل الحصين لدي الحصين كَمَا عدل الرَّجازَة جَانب الميل[5]

---

[1] الظعينة في الشعر الجاهلي، ص1079.

[2] نفسه ، ص1080.

[3] نفسه ، ص1080

[4] نفسه ، ص1080.

[5] إبراهيم شمس الدين: قصص العرب ، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ= 2003 بيروت- لبنان ، ص 497.

هـ – النحيزة: قال أبو عمرو: النحيزة " شبه النسيجة شبه الحزام تكون على الفساطيط والبيوت تنسج وحدها فكأن النحائز مشبه به ، والنحيزة من الشعر هنة عرضها شبر ، وطويلة يعلقونها على الهودج يزينونه بها ، وربما رقموها بالعهن ، وقيل : هي مثل الخزام بيضاء.[1] ومنه قول ذو الرمة يصف الناقة:

كأنها حملٌ وهمٌ زما بقيت إلا النحيزة ، والألواح ، العجب[2]

رحلة الظعائن:

يعد الشعر العربي انعكاسا للبيئة الصحراوية التي نشأ فيها، وللواقع الاجتماعي في ذلك العصر وبالتالي فإن في وسعنا أن نتبين موقع المرأة (الظعينة) ، ومكانتها في العصر الجاهلي من خلال مضامين ما وصلنا من أشعار الجاهلين ، مع ملاحظة أن هذا الشعر في أغلبه يعبر عن مكانة المرأة فينظر الرجل[3]

من المعروف عن المرأة العربية أنها كانت تحل مكانة رفيعة في البيئة العربية ، لذا تقرب الشعراء إليها وخطبوا ودّها، وعرفوا قدرها ومامن شك أن هذه المكانة التي كانت للمرأة يضاف إليها عوامل أخرى هي بواعث حب الرجل لها، فأعز الرجل للمرأة أحبها ، وقدم القصيدة بذكرها وجزع لهجرها أو ظعنها ، ووقف على أطلالها يبث جزئه ويبكي حظه ويتذكر ماضيه السعيد معها.[4]فالشاعر الجاهلي عايش ظاهرة تعاقب الجذب والخِصب في الصحراء العربية وهذا ما نلاحظه من انعدام المطر أحيانا الذي يؤدي إلى

[1] أنظر ، سيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس ، تح الترزي، الحجازى ، ج15، 1395هـ=1975م الكويت ،ص346.

[2]تفسير البيضاوي: حاشية الشهاب، ج2، دار الكتب العلمية 1971، لبنان ، ص203.

[3]درّيّة عبد الحميد حجازي: الظعينة في شعر العصر الجاهلي، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنوفية ص1081.

[4]بنية القصيدة الجاهلية ، إعداد طالبة سعيدة علي عبد الواحد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، تخصص الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية ، سنة 2006_2007، ص45.-46.

الترحال وبالتالي فقد المحبوبة (المرأة) وفراقها ، فقد يضطرها القحط إلى هجر المكان الذي ألفته والبدء في رحلة جديدة مع الأهل والقبيلة بحثا عن مصدر الماء يؤمن الذي الحياة والاستقرار"[1]

ومن هنا نجد الشاعر يربط العلاقة بين رحيل الحبيبة بعد خراب ديارها ودمار الطبيعة وانعدام المطر فانقلها إلى مواطن الخصب يعد رمز من رموز الحياة والخصب ،ترحل الحبيبة في ركب صواحبها، وقد أفاض الشعراء الجاهليون في وصف موكب الضعائن وهي تسير محملة بالأمتعة وبهوادج النساء [2]. فيشهد المحب هذا الركب فيحترق قلبه ويشد نظرته هودج محبوبته ويَعْلَق به الأسى دون أن ينسى ذكر الطريق الذي سيقطعه الركب ويصفه وصفا دقيقا ويحيط به إحاطة وكأنه جغرافي يرسم طريق السير ويسجل موقفه ويصور شجنه وحزنه ووجعتهلهذا الرحيل "[3]

ويقال لموكب النساء " الهودج أو حمول أو قباب أو حدوج "[4] ، فإذا "رفعت الهوادج ارتفع معها النساء وتغلغل خيالهبين الستور ، يسترق النّظر إلى عيون دعج أخفاها النقاب ، وقدود هيفاء مال بها الهيام وينشق من عبق المسك ليشفي ما به من زكام الوجد "[5].

وأول من وصف ضعنها امرؤ القيس الذي عرف بالمجون ، حتى إن أباه قد طرده بسبب ذلك ، فهو لا يتورع أن يتسلل إلى خدور (لهودج) عنيزة ابنة عمه ويقضي ما طاب ولذ ، حيث شبهها بالشجرة المثمرة التي يقتلها الجفاف فتضطر للرحيل لتستمر الحياة حين يقول:

وَيوم دخَلت الخِدر خدر عُنَيزة فقالت: لك الويلات أنّك مرجلي

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعِيري يا امرؤ القيس فانزل

فقلت لها سِيرِي وارخي زمامة ولا تبعديني من جناك المعلل[1]

---

[1] المرجع السابق، الظعينة في الشعر الجاهلي، ص1081.

[2] سرامة البشير: الشعر الجاهلي ، ص 176.

[3] أنظر : بنية القصيدة الجاهلية ، إعداد طالبة سعيدة علي عبد الواحد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، تخصص الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية ، سنة 2006_2007، ص44.

[4] **الهودج**: من مراكب النساء مقبقب وغير المقبب ، اللسان : مادة(حدج) / **الحمول** : الهوادج كان فيها أو لم يكن واحدها حِمل ولا يقال : حمول من الإبل إلا ما كان عليه الهوادج، اللسان: مادة (حمل). / **القباب** : الهوادج تقبب ، اللسان : مادة (قبب)./**الحدوج** : من مراكب النساء ، يشبه المحفة ، والجمع أحداج ، حدوج ، اللسان : مادة (حدج).

[5] سعيد ضناوي: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1، 1993، ص208.

وشتهر عبقرية زهير تتجلي في وصف الظعائن مفصلة حين يصف حركاتها وسكانها مصور جزيئات الرحلة ودقائقها مستغرقا في استقصائها أبياتا تبلغ التسعة في عددها وتتجاوز التسعين في قيمتها وجمالها لأنها تمثل قمة ما وصل إليه الشعر الجاهلي في تسجيل وقائع ركب الحبيبة حين يقول:

تَبَصَّر خَلِيلِيّ هلْ تَرى من ظَعَائِنٍ تَحمُلنَ بِالعَلياءِ من فوقِجُرثُمِ

جعلن القنان عن اليمين وحزنه وكم بالقنان من محل ومحرم

عَلوْنَ بِأَنَماطٍ عِتاقٍ وَكِلَّةٍ وِرَادٍ حَواشِيهَا مُشَاكِهَةٍ الدَّمِ

ووركن في السويان يعلون متنه عليهن دل الناعم المتنعم

بَكرنَ بُكُورًا واسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ وَوادِي الرَّسِّ كَاليد في الفمِ

وفِيهنَّملهى للَطِيفِ ومَنْظرُأَنِيقٌ لِعَينِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمُ

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

فلما وردن الماء زرقا جمامة وضعن عصى الحاضر المتخيم

ظهرنَ من السُّوبَانِ ثم جَزَعْنَه على كُلُقينى قَشيب ومُفْأمِ[2]

ومن أبياته أنه يصور الرحلة التي سلكها ظعن صاحبته ، وهن يعلون الروابي ويهبطن الأودية وعلى هوادجهن الكلل والستائر الحمراء التي شبهها بالون الدم ، وتحت الأنماط ثوب رقيق شفاف[3]يكشف عما بداخله فيتمكن من الرؤية، وحركة سيرهن سحرا وهن قاصدات وادي الرس.الذي يعرفنه جيدا كما تعرف اليد طريقها إلى الفم.

أما عمرو بن كلثوم فيذكر الأماكن التي شرب فيها الخمر ، فيسمى منها : بعلبك– دمشق– قاصرين– في إيحاء إلى سفر التي لا تنفع بحثا عن اللذة:

[1] زكريا صيام : الشعر الجاهلي ، ص 179.

[2]الإمام أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنةهـ1363=1944م، القاهرة ، 1384هـ=1964، ص9_13.

[3] شرح ديوان: زهير بن أبي سلمى ،ص10.

وكأسٍ قد شربتُ بِبَعْلِكَ وأُخرَى في دمشقَ وقاصِرينا[1]

ويخاطب صاحبته التي حرمته كأس الهوى الذي كان يجرى اليمينا.حين قال:

صَبَنْتِ الكأسَ عنّا أمَّ عمروٍ وكانَ الكأسُ مجراها اليمينا[2]

وفي البيت التّاسع من المعلقة يستوقف الظّعينة لتخبرهبأنها على العهد باقية وليخبرها هو أيضا على العهد مهما كان الظعن والتفرق يقول:

قفِي قبل التفرق يا ظعينَا نُخبِّرك اليـقـين وتُخبرينـَا[3]

قفِي نسْألك هلْ أحْدثتِ صَرْما لوشك البيْن أم خُنتِ لعلها اليمينا

أما لبيد بن أبي ربيعة فيصف دخول النساء لهوادجهنّ المغطّاة بثياب القطن الفاخرة، وقد أُسدلت عليها السّتائر ، وكأنهن نعاج بيضاء ، وبظباء وجْره ، تَعْطِفًا على آرامها ، فيقول:

شاقتْكَ ظُعْنُ الحيّ حين تحمّلوا فتَنَكَّسوا قُطُنًا تَصِرُّ خيامُها

زُجَلاً كأنّ نعاجَ توضحَ فوقَها وظِباءَ وَجرةَ عُطّفًا أرآمُها[4]

أما علقمة فقد استهل قصيدته بالحديث عن نأي الحبيبة وبكائه لفراقها وتقطع حبل الوصال يقول فيها:

هل علمتَ وما استودعتَ مكتومُ أمْ حبلُهَا إذ نأَتك اليوم مصرومْ

أمْ هل كبيرٌ بكى لم يقضِ عَبْرَتَهُ إثرَ الأحبّة يوم البيْنِ مَشكومُ[5]

ثم ينتقل بعد ذلك لوصف ظعن الحبيبة وسرعة انتقالها معلناً أنّ رحلة الظّعائن كانت تحدث بصورة مفاجئة وسريعة لم يعلم بها إلا ساعة تجهيز الجمال للرّحيل ،وقبيل الصبح ،حيث حملت عليها الهوادج، وقد جللت بثياب موشاة بالحمرة ،فالطيور تحسبها لحما، فيقول:

[1] ديوان السيرة عنترة بن شداد، ص162.

[2] الظعينة في شعر العصر الجاهلي ، ص1087.

[3] نفسه ص، 1092.

[5] الديوان : علقمة بن عبدة: ديوان ، قدم له السيد أحمد قصر، 1353هـ=1935م ،القاهرة،ص58.

لم أدْرِ بالبيْنِ حتّى أزْمعوا ظعنًا كُلُّ الجِمالِ قُبَيْلَ الصّبْحِ مَزْمومُ

ردّ الإماءُ جِمال الحيِّ فاحتملُوا فكُلُّها بالتَّزيدياتمعْكومُ

عَقْلاً ورقْمًا تظَلُّ الطَّيْر تخطفُهُ كأنّه من دَمِ الأجوافِ مدمومُ[1]

ثم يصف الحبيبة (الظعينة) في هوادجها ، فشبّهها بالأترجة، وهي فاكهة طيبّة الرّائحة ، وبالمسك لطيب رائحته التي تفوح بشدّة ، وتنتشر في كل المكان حتى ليشُّمها المزكوم، وشبه عينَه التي تسكب الدمع بالدّلو التي يفيض منها الماءلغزارة دموعه ،إذ يقول:

يَحْمِلْنَ أُتْرُجَّةً نَضْخُ العبير بها كأنَّ تَطْيابَهَا في الأَنْفِ مشمومُ

كَأنَّ فأرةَ مِسْكٍ في مفارقها للباسِطِ المُتَعاطي وهو مزْكومُ

فالعَيْنُ منّى كأن غَرْبٌ تَحُطُّ بهِ دَهْماء حاركها بالقِتْبِ محزومُ[2]

كما شبه الشعراء الهودج بالسفن فكما للسفن قرارات ، وبطون يجلسن فيها للسفر وكذلك الهوادج في امتدادها تشبه السفن في تتابعها والوادي المتسع الذي تسير فيه مواكب النساء أشبه ما يكون بالبحر"[3] وفي مشهد يصف كما اهتزاز الهوادجبالريح التي تهز النخل والشجر بينماامرؤ القيسيشبه الهودج بالدوم والسفن والنخيل حين تهتز:

فَشَبَهتهم في **آل** لمَا تَكَمَّشُوا **حدائقَ دَوْمِأَو سفينَا مُقَيَّرَا**

أَوْ **المكْرَعاتِ** مِن نخيلِ **ابن يامِنِ** دُوينَ الصَّفَا اللائي يَلينَ المُشَقَّرَا[4]

ويصور لبيد صورة الظعائن بالنخل أيضا:

---

[1] المصدر نفسه، ص59.

[2] علقمة فحل: ديوان ، قدم له السيد أحمد قصر، 1353هـ=1935م ،القاهرة،ص59.

[3] نفسه ص 213.

[4] امرؤ القيس: ديوان ، ضبطه وصححه ، أ/ مصطفى الشافي ، دار الكتب العلمية 1971، بيروت- لبنان ص60.

الآل : السراب / **حدائق**: جمع حديقة ، وهي الأرض ذات الشجر/ **الدوم**: شجر المقبل / **السفين** : جمع سفينة / **المقير**: المزفت . **المكرعات**: أي نخل نابت على الماء/ **ابن يامن** : اسم رجل كان له نخيل يهجر

فَكَأَنَ ظُعن الحَيّ لَمَا أَشْرَقَتْ بالآلِ وارتَفعتْ بِهِنَّ حُزُومُ

نخلٌ كَوَارِعٌ في خليجِ محلمٍ حملت فمنْهَا موقِرٌ مكمومُ

سحقٌ يمتعُها الصَّفَا وسريُّهُ عمٌّ نواعِمُ بينهنَّ كرومُ[1]

ويقول زهير بن أبي سلمى في تشبيهه الهودج بالدوم :

يَقْطَعْنَ **أَميالْأجواز** الفُلاة كمَا يغشى **النواتي** غمار اللّج بالسُفن

يخفضها **الآلُ**طورًا ثم يرفعها **كالدَّومِ** يعمدن للأشراف أو **قطن**[2]

أما طرفة بن العبد فشبه هوادج محبوبته وقد ارتحلت بسفن عظيمة ،حين ذكر اسم رجل اشتهر بصنع السفن في البحرين وهذا يدل على تأثره بالمشاهد التي لاحظها في البلاد التي ارتحل إليها خارج الجزيرة العربية يألف أهلها سوى (سفينة الصحراء) وحيوانات الصحراء الأخرى ،فالشاعر يضع بين أيدينا لعبته من التراب عرفت في عصره

حين شبه حالة السفينة وهي تمخر عباب البحر وتشق أمواجه بالمقابل الذي يقسم بيديه كومة تراب صغيرة إلى نصفين يكون بداخل أحداهما شيء ،ثم يسأل اللاعب الآخر عن النصف الذي بداخله الدفين، يقول:

كَأَن حُدوج المالكية غدوة خلاَيا سفين بالنواصف من عدد

عدُولية أو من سفن ابن يامن يجور بها الملاح طورا ويهتدي

يشق حباب حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد[3]

كقول المثقب العبدي:

---

[1] سرامة البشير :الشعر الجاهلي، وتجاذبات البساطة والفخامة ،ص 176.

[2] شرح الديوان : زهير بن أبي سلمى، ص118-119.

الميل: قطعة من الأرض مَدِّ البَصرِ / **الأجواز**: الأوساط/ **النواتي**: هم خدم السفينة/ **الآل** : يرفع الظُّعن أحيانا ثم يخفظها / **الدوم**: شجرة المُقْلِ / **قَطَنُ**: جبل.

[3] زكريا صيام: الشعر الجاهلي: ص428.

يُشبهن السفين وهن بختٌ عراضات الأباهر والشؤون[1]

فصورة الظعن / النخيل كثيرة الورود في الشعر الجاهلي وأيضا في قول المسيب بن علس :

ولقد أرى ظعنا أُخيلها تُحدّي كأنّ أزهادها نخل

وآلِ يرفعها ويخفُضهَا رُبُعٌ كَأَنَّ مُتُونَهُ سَحْلُ[2]

وأيضا قول دريد بن الصمة :

كأنّ **حَمُولَ** الحَيّ إذ **مَتَعَ** الضّحَى بِنَاصِبَةِ **الشَّحْنَاءِ** عُصْبةُ **مِذْوَدِ**

أَوْ**الأَثَابُ العَمُّ** المُحَرَّمُ سُوقُهُ بِكَابَةَ لم **يُخْبَطْ**، وَلَمْ يُتَبَعَضَدِ[3]

والمرقش الأكبر يستهل من قصائده بالسؤال عن ظعن تطفو على صفحة الرمال كأنها شجرة الدوم ، أو السفن العظام سابحة بين بطن واد الضياع ، شمالا ، وتلوح هوادجها على ظهور إبل فتية وهي هوادج مكللة بثياب اليمن المزركشة الجميلة التي تسلب الأفئدة والألباب إلى هوادج أخرى على ظهور نوق ضامرة قوية وهن قاصدات إلى موضع يقال "سمسم" جاءت في السير لايَتَلَفتْن ولا يستمعن لأصوات المحزونين شفت قلوبهم ،فقال:

لِمَنْ **الظُّعنُ** بالضُحَى طافياتٍ شبهها **الدُّومُ** أو خلايا سفينِ

جاعِلاتِ**بَطْنَ الضّباع** شمالاًوبراقق**النّعافِ** ذات اليمينِ

رافِعاتِ **رقماتُهالُ** له **العيـ ـنُ** على كُلّ بازلِ **مستكينِ**

أو **عَلاةٍ** قد دُربَت دَرَجَ المِشْـ ـيةِ مِثْلِ **المهَاةِذَقونِ**

---

[1] المثقب العبدي: الديوان ، تح: د/ حسن حمد دار صادر ، بيروت ، ط1، 1996م ص57.

[2] سرامة البشير: شعر الجاهلي: ص180.

[3] أبي محمد زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: الجمهرة أشعار العرب ، صححه أ/ علي فاعور ، دار الكتب العلمية 1971،بيروت- لبنان ، ص273.

الحمول: الإبل/ **متع**: ارتفع / **الشحناء** : الموضع ، ولم نعثر علي ذكر له في كتب المعاجم / **المِذود**: مربط الخيل/ **المجرم** : مكان (المحرم) ، في عجزه لم يتعضد: مكان ولم يتبعضد/ **الأثأب**: شجر نبتت في بطون الأودية / **العمّ**: النخل الطوال/ **كآبة** : وهو موضع في بلاد تميم . **يخبط**: من خبط الشجرة :أي شدها ونفض ورقها.

عَامِدَاتِ لِخَلّسِمسِمَ مَا **يَنْـــ ـظُرْنَ** حاجةَ المحزونِ[1]

يصور الشاعر لنا استعداد القوم للرحيل ، وما يسبقه من رد الإبل من المراعي وذم الأمتعة ، وما يشيع في أثناء ذلك من حركة و أصوات تبدأ القافية ، ويرسم لنا الطريق الذي يسلكون ويسرون فيه بين السهول والجبال والرمال وينتقل إلى وصف الهوادج ، وصفا دقيقا: كقول المثقب العبدي:

قد علت من فوقها أنماطها وعلى الأحداج رقم كالشقر[2]

أو كقول علقمة الفحل:

عقلاً ورقمًا تظل الطير تتبعه كأَنَهُ من دم الأجواف مدمومُ[3]

"ويصف فيه أنواع الثياب التي تكللها و ألوانها المختلفة بين السمك و الرفيق ،الأحمر وغير أحمر وإن كان اللون الأحمر هو الغالب ويفرغ من تصوير الهوادج ثم يصف النساء بزينتهن وحليهن وعطورهن

فيقول المرقش الأصغر:

تَحلّيْنَ يَاقُوتًا وشَذءرا وصيغة وجزعاً ظَفارِيّاوذُرًّا تَوائِمَا[4]

---

[1] المرقش الأكبر و اسهامة في التأسيس لتقاليد القصيدة العربية الغزل العذري ، فاطمة حسن العبد الفتاح ، مجلة الأثر العدد25جوان2016، جامعة الأمير سطام عبد العزيز ، السعودية ،ص152.

الظعن: الإبل بهوادجها فيها النساء / **طافيات** : عاليات كأنها تطفو على الماء / **الدوم**: شجر الدوم / **الخلايا** : جمع الخلية وهي السفينة العظيمة / **بطن الضباع** : واد / **البراق** : بضم الباء وهو الطين وحصى ورمل يجتمع/ **النعاف** : جمع نعف وهو ما ارتفع من مسيل الوادي وانحدر عن الجبل/ **الرقم** : ضرب من ثياب اليمن تشد بها الرياح وتجعل على الهودج/ **تهال له عينه**: أي تفزع من حسنه/ **البازل من الإبل** : الداخل في السن التاسعة من عمره/ **المهاة** : بقر الوحش/ **العامدات**: القاصدات /**الخل**: طريق في الرمل/ **سمسم**: موضع/ **ينظرن**: ينتظرن.

[2] نفسه ديوان المثقب العبدي ، ص37.

[3] علقة الفحل: شرح الديوان، شرحه الأعلم الشنتمري ، تقديم د/ حنا نصر الحي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1هـ1414=1993م، ص34.

[4] ينظر : البنية القصيدة الجاهلية ، ص45.

سادسا: الأثافي

إن زهير في تناوله ديار محبوبته يصف ارتحالها وما تبقى من آثارها ،فإذا فهو حين ينظر إلى ما تبقى من آثار منازلها يشبه تلك الديار وقد اندثرت ودرست معالمها بمراجيع الوشم التي كادت أن تمحى في نواشر المعصم كما يلتفت إلى الوحوش التي اتخذت من ديارها مرتعا بعد ارتحال أهلها عنها فيقر بأن الوحش ذات العيون الواسعة والظباء الخالصة البياض يمشين وراء بعضهم البعض وأولادهن تنهضن من كل مجثم[1].كما يعمد زهير الذي لم يعهد عنه مغادرة البيئة العربية يعمد إلى الألفاظ التي تدل على الأصالة البدوية التي خبرها بالتجربة ليصف ما آلت إليه كذلك الأماكن بعد ارتحال أم أوفى وإنه تعرف على آثار دارها بالأثافي السفع في معرس مرجل ، وحوض كانت قد حفرت حول البيت لم يتثلم[2]، يقول:

أَمن أمِّ أَوْفَى **دِمْنَةٌ** لم تَكَلَّمِ **بِحَوْمَانَة** الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلّم

وَدَارُ لَهَا **بِالرَقْمَتَيْنِ** كَأَنَهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرُ مِعْصَم

بها **العَيْنُ** و الأَرامُ يمْشينَ خِلْفَةً و**أَطْلاَؤها** يَنْهَضنَ مِنْ كُلّ مَجْثَمِ

أَثافِي **سُعفا** في معرس مرجل و**نؤيا** كجذم الحوض لم يتثلم

فلمَّا عَرَفْتُ الدَّار قُلتُ لرَبْعِها أَلا انْعم صَباحاً أَيُها **الرَّبْعُ** واسلَم [3]

ونجد طرفة بن العبد يقلد زهيرا في تصوير الوشم ويحاكي امرأ القيس استيقاف الصحب لفظا ومعنى تقريبا في قوله مستهلا معلقته:(الطويل)

لِخَوْلَة أَطْلاَلٍ بِبرقةِ ثهمدٍ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرَ اليَد

وُقوفاً بها صَحْبِي عَلَيَ مَطيَّهمْ يَقولون: لاَ تَهلِك أسىً وَ تَجَلَّدِ [4]

---

[1]مرجع السابق ص425-426.

[2]نفسه ،ص 425-426

[3]زكريا صيام ،دراسة في الشعر الجاهلي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،1984، الجزائر ص311.

أم أوفي : كنية حبيبة الشاعر/ **الدمـــن**: جمع دمنة ، ودمنه الدار أثرها ، وماسودوا ، وقيل: ماسودوا من آثار البعر وغيره / **فالمتثلم**: موضع/ **بالرقمتين**: وهو مجتمع الماء في الوادي./ **حومانة**: مواضع بالعالية.

[4]ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطيب ،ط2، 2002، بيروت ص23.

إن الأطلال ما شخص من آثار الديار وبرقة أرض ذات حجار وطين فهي تلوح كباقي الوشم في اليد تبدوا رسومها تتبين كالوشم في اليد. فهذه الأثار المندرسة تركت الحزن في نفس الشاعر فكان حضور خولة حضور غائب ومكانها حضور حاضر جسدته علاقة التماهي والتباعد لدى الشاعر .

لقد كانت الأطلال نفسها مجالا للافتنان حيث شبهها بغيرها لما تداعي إلى خاطر الشاعر حيث رأى الشعراء الوشم والموشى وغيرها يقول النابغة الذبياني ويذكر الوشي قال:

وتَذْكُرِني الأَطْلالَ هِنْدُ معَ الهَوَى دَعَائِمُ منها قَائمُ وَ مُتَرَبِعٌ

علَى العصّرِ الخَالِي كَانَ رُسُومِهَا بِتَنْهِيهِ الرَكين وَشي موجع[1]

بالنظر إلى قلق الشاعر الجاهلي ،أتى في بعض الحالات معبرا عن الحب والشجن معا، وفي حالات أخرى معبرا عن الألم والحسرة ، والذكرى والتذكر في الماضي والحاضر ، كما فيه الرغبة والوصف والإيحاء ، لذا كانت كل هذه الأشياء تعبيرا عن مكنوناته.

وقال أيضا زهير بن أبي سلمى:[2]

تَبْقى الأَحجارِ وأثافي ودُخانِ يُصبَغُ الأَحجاَر

وفي قول النابغة الذبياني:

عُوجُوا فَحَيُّوا لِنُعْمٍ **دِمْنَةَ** الدَّارِ مَاذَا تُحَيُّون من نُؤْيٍ وَأَحْجَارِ؟

فاستعْجَمَتْدارُ نُعْمٍ ما تُكلَّمُنَا والدارُ لو كَلَّمتْنا ذاتُ أَخبارِ

فما عَرَفْتُ بِها شيئاً أَعِيجُ بهِ إلا **الثُّمَامِ** ، وإلا مَوْقدَ النَّارِ

لخولة: اسم لامرأة / **أطلال** : وهو ما بقى من الديار والرسم والشخوص / ب**برقة** : المقام الذي اختلطت حجارته بتربة / **ثهمد**:اسم لمكان وموضع / **أسى** : الحزن / **تجلد** : تكلف الصبر والمشتاق

[1]أسامة بن منقد ، المنازل والديار ، تح الأستاذ مصطفى حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008، ص22.

الحمم: الفحم / **الثمام** : نبت ضعيف تتخذ منه الحصر ، ويلقى على الخشب يستظل به ، فإذا ارتحل القوم تركوا هذا الثمام في موضع الخيمة.

[2]أحمد محمد الخوفي : الغزل في الشعر الجاهلي ، دار القلم ، بيروت ، د/ط ، ص342.

وقَد أراني وَ نُعْماً لاهِبَيْنِ بهاَ في الدَّهرِ والعيشُ لم يَهْمُمْ **بإمرَارِ**[1]

وقديأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد أنها انتقلت مع قبيلتها إلى منزل آخر وموضع آخر فيقف على طلل الخيمة فيصف ما حوله وينسب بالحبيبة ويتشوق إليها.

والخيمة عند العرب: " البيت والمنزل ، وسميت خيمة لأن صاحبها يتخذها كالمنزل الأصلي ، وقال ابن الأعرابي : الخيمة لا تكون إلا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ولا تكون من ثياب و قال :أما المظلة فمن الثياب وغيرها "[2] ، يقول زهير يمدح هرم بن سنان:

أَرْبتْ بِه الأرواحُ كُلّ عشية فَلمْ يبقَ إلا **آل خَيْم** منضد[3]

إنّ من كآبة الشاعر حزنه عندما ذهب لزيارة أثار دار أم مبعد ، فوجد أن الرياح ماجت بها ولم تترك إلا آل خيم عرف به المكان.

وقول المرقش:

هل تَعْرفُ الدَّار عَفَا رَسْمُها إلا **الأَثَافي** ومبنى الخيم؟[4]

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

---

[1]أسامة بن منقد ، المنازل والديار ، تح الأستاذ مصطفى حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008، ص 313.

عجوا: أي قفوا/ **النؤى**: ما يحفر حول الخباء ليمنع المطر / **استعجمت**: سكتت وعيت عن الجواب / **الثمام** : نبت ضعيف تتخذ منه الحصر، وكانوا يلقونه على أعواد الخيمة يستظلون تحته ، فإذا ارتحلوا تركوه في موضع الخيمة فصار أثرا / **امرار**: يقال: أمر العيش امرارا، إذا صار مرا.

[2]ابن منظور : لسان العرب ، مادة (خيم).

[3]مرجع السابق : منازل والديار، أسامة منقذ، ص91.**أربت**: دامت ولزمت/ **الآل**: جمع آله وهو عود له شعبتان يعرض عليه عود آخر ، ويلقي عليه ثمام يستظل به./ **المنضد**: الذي جعل بعضه فوق بعض.

[4]المرقش الأكبر، عمرو بن سعد ، الديوان : تح : كارين ، بيروت ،1998، ص78.

الأثافي: وهي الحجر توضع عليه القدر / **الخيم**: جمع خيمة ، وهي بيت يبني من عيدان الشجر ، فإذا كان من صوف أو شعر فهو بيت وقيل أن الخيمة تطلق على جميع ذلك.

ما هَاج من مَنزِلٍ بذِي العَلم بين لِوى المَنْجَنُونِ فاسّلَمِ

لَم تُبْقِ منه الرّيَاحُ معْلَمةً إلاَ بقايا **الثُّمَام والحُممِ**[1]

وأصل التخييم الإقامة فسميت بذلك لأنها تكون عند النزول فسميت خَيْمَةً ، فقد أوردت المعاجم القديمة أن الخيمة لا تكون من القماش كرأي ابن الأعرابي ، ولكن في العصر الحديث فالخيمة المعروفة هي من القماش "الخيمة البيت يتخذ من الصوف و القطن"[2]

وهذا ما نستنتجه فقد ارتبط اسم الديار باسم المحبوب فهما مقترنان معنويا في ذهن الشاعر [3]

ومن الجزيئات التي كثيرا ما نلاحظها في المقدماتالطللية تشبيه هذا الطلل (المكان)بالكتاب يقول عبيد بن الأبرص :

لمن الديار أقفرت **بالجناب** غير **نؤي** ودمنه كالكتاب

غيرتها الصبا ونفح جنوب وشمال تذرو دقاق التراب

أوحشت بعد ضمر كا لسعالي من بنات الوجيه أو حلاب[4]

الشاعر في هذه الأبيات يصف الديار بالكتاب الذي يصعب قراءته، لقد عملت فيها ريح الصبا وهي تحمل التراب فأصبحت موحشة يصعب التعرف عليه .

أما الحاتم الطائي فيشبه الأطلال والحفيرة التي تجعل حول الخيمة بالخط في الكتاب فيقول:

أتعرف أَطْلاَلاً و**نؤياً** مهدّم كخَطك في **رقٍّ** كتاباً **منّمنما**

أذاعت به الأرواح بعد أنيسها شهوراً وأَياماً **وحولاً مُجرّما**[5]

---

[1] عبيد الله بن القيس الرقيات: ديوان ، شرحه وضبطه له: د/ عمر فاروق الطباع، بيروت _لبنان 2016،ص

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خيم).

[3] د/ اسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة الغريب ،ط2، ص124.

[4] سيزا قاسم ، القارئ والنص ، المجلس الأعلى الثقافي ،2002، ص55.

الجناب: أرض معروفة بنجد /**نؤى**: الحاجز حول الخيمة يمنع المطر

[5] ديوان: حاتم الطائي ، شرحه وقدم له: أحمد رشاد، دار الكتب العلمية 1971، بيروت لبنان ، ص43.

وفي نفس المجال يشبه بشر بن عليق الطائي بقايا الرسم المتمثلة في الأثافي والرماد بالكتاب المنمنم ،يقول:

أذاعَت به الأَرواحْ حتَّى كَأنماَ حَسِبتَ بقاياهُ كِتابا مُنَمنَما[1]

أما الحطيئة فشبه أحد الأقطاب المدرسة بالديار التي تسفي عليها الرياح دقائق التراب بالسطور في كتاب. يقول:

لمنْ الدّيار كأنهن سطور بلوى زَرُودَ سفى عليها مور[2]

ويشبه عبيد بن عبد العزّى السلامي الرسم الذي سلم من أذى الريح بالرداءة خط الكتاب تصعب قراءته وبالنظر ما فعلته الأمطار والرياح في رسوم حتى أصبحت الرسوم كخط الكتابة في القراطيس :

أَتعرف رسمًا كالرداء المُحَبَّرِ برامة بين الهضب والمتغمّرِ

جرت فيه بعد الحي نكباء زعزع بهبوة جيلان من الترب أكدرِ

فلم يتركا إلا رسومًا كأنها أساطير وحيٍ في قراطيس مقتري[3]

وفي موضع آخر يصور الشاعر الرسوم بآيات الكتاب الذي به مواعظ تدمع لها العين ، ومنه جعلت العين تدمع عند الوقوف لهذا المشهد ، حيث قال:

فلم تدع الأَرواح والماء والبلى من الدار إلا ما يشوق ويشغفُ

رسوماً كآيات الكتاب مبينةً بها لِلحزين الصب مبكى وموقف[4]

أما الشاعر سلامة بن جندل فيرسم صورة جديدة ، فيجعل ما أبلته الرياح على وجه الأرض كالصحيفة

النؤى: الخندق الذي يحفر حول خيمة / **الرق** : الجلد الرقيق / **المنمنم** : المنقوش/ **الحول المجرم** : السنة الكاملة.

[1]الجبوري يحي : الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه، ط4، بيروت ، مؤسسة الرسالة1403=1983، ص187.

[2] سراته البشير: الشعر الجاهلي وتجاذبات البساطة و الفخامة، دار الكتب العلمية1971، د/ط ، بيروت _لبنان ص167.

[3]المرجع السابق، ص129.

[4]الجبوري يحي: قصائد الجاهلية نادرة، ط2، بيروت مؤسسة الرسالة، 1408=1983، ص125.

البالية ، يقول:

لبس الروامسُ والجديدُ بِلاهما فتركن مثل المِهرَقِ الأَخلاقِ[1]

امرئ القيس فيذكر الطلل البالي بمخطوط كتاب الزبور في ورق يماني:

لمن **طلل** أبصرته **فشجانى** كخط **زبور** في **عسيب** اليماني[2]

يبدو حضور الطلل في هذه الأبيات حضورا قويا، وعنصرا فعالا ساهم في تحريك مشاعر الشاعر الذي أخذ يتساءل عن الطلل (لمن الطلل أبصرته فجشاني)فقد أثار شجونه و أحزانه، "لما نظر إلى هذا الرسم قد

درس وانمحى إثره ،كدروس الكتاب في العسيب اليماني"[3]

ويقول زهير في قصيدة أخرى طارحا صورة الطلل بالكتاب :

لِمَنْ طَلَلٌ كالوَحْيِ عَافٍ مَنَازِلُهْ عَفا الرَّسُّ منهُ فالرُّسَيْسُ فعاقلهْ

فقف فَصَاراتٌ فأَكنافُ مَنْعِج فشَرْقيُّ سلمَى حَوْضُهُ فأجاوِلُهْ[4]

إن الموت المتمثل في الطلل الذي يشبه الوحي لا يخيم على مكان واحد، بل على أمكنة متعددة.

ويقول الحارث بن حلزة ذاكرا المهارق الفارسية:

---

[1] ابن جندل: الديوان ، صنعه محمد ب الحسن الأحوال ، قدم ووضع حواشيه راجي الأسمر، ط1بيروت_ لبنان دار الكتاب العربي 1414=1994، ص 25.

الروامس: الرياح التي تأتي بالتراب فتدفن تحتها الآثار انظر لسان العرب مادة (رمس) / **الجديد**: وجه الأرض/ **المهرق**: الصحيفة (فارسي معرب)/ **الأخلاق**: البالية انظر لسان العرب ، مادة(خلق).

[2]ديوان: زهير بن أبي سلمى ، شرحه : عمر فاروق الطباع/ دار القلم ، بيروت_ لبنان ، ص215.

الطلل: ما شخص من أعلام الدار أي : ارتفع / **شجاني** : أحزنني/ **الزبور** : الكتاب ، وكانوا يكتبون الزبور/ **العسيب** : وهو السعف النخل الذي جرد عنه خوصه، وهي جريدة ، وكان المسلمون في عهد رسول الله_ صلى الله عليه وسلم _ يكتبون القرآن في العسي واللخاف / **اللخاف**: الحجارة الرقاق. وخص العسيب لأن أهل اليمن كانوا يكتبون صكوكهم وعهودهم فيه.

[3]نفسه ، ص215.

[4]زهير بن أبي سلمى : شرح ديوان ، صنعة: الإمام أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب، نسخة مصورة:136هـ3=1944، دار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1384هـ= 1964م، ص116.

لِمَنْ الدّيَارُ عَفَوْنَ بالحَبْسِ آيَاتُهَا كَمَهَارق الفُرْسِ[1]

ويقول الشماخ بن ضرار الذبياني:

أَتعرفُ رَسْمًا دارسا قد تَغيَّرَا بِذَرْوة أَقوى بعد ليلى وأقفرا

كَمَا خطَّ عبرانية بيَمينهِ **بتيماءَ** حَبْرّ، ثم عرض **أسْطُرَا**[2]

وأيضا :

قفا نبكى من ذكرى الحبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

أتت حِجَجٌ بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان[3]

و نتساءل عن دلالة هذا التشبيه ومواضع المشابهة بين الطلل والكتاب ؟

فلنا أن نهتدي بالتفسير الذي قدمه الأصمعي عن بيتين السابقين لإمرئ القيس ، فيقول في بيت الأول "كخط الزبور" أي قد درس وخفيت آثاره فلا يري منه إلا مثل الكتاب في الخفاء ، ومن هنا نفهم من كلام الأصمعي أن الكتاب يتميز بالغموض الذي يمتزج إلى تأويل، ويضيف الأصمعي في تفسير البيت الثاني يصف قِدم الدار وبُعد أهلها بالأنيس حتى تغيرت رسومها ، ودرست آثارها فأصبحت كالكتاب في الخفاء والدقة "[4]

ومن هنا دلالات الطلل التي ذكرناها آنفا هو استعارة للحب المفقود ، فالحب في القصيدة الجاهلية دائما ذكرى لحب قد ولت أيامه بلا رجعة ، وحبيبة أصبحت تقطن في مواطن الماضي التي لا يستطيع الشاعر ملاحقتها فيه إلا بالتذكر ، فارتبط البكاء على الأطلال بمقدمة غزلية قد تطول في معلقة امرئ

---

[1] الضبي ، المفضليات ، ص132.

[2] الإمام أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنةهـ1363=1944م، القاهرة ، 1384هـ=1964، ص5.

تيماء: بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق/ **عرض:** الكاتب الخط إذ كان قبيحا ،أي معميا خطيه ولم يبين الحروف ولم يقوم الخط.

[3] سيزا قاسم ،الدلالة والنص،ص55.

[4] ينظر ، المرجع نفسه ، القارئ والنص ، ص 55.

القيس أو تقصر في معلقة طرفة بن عبد لأن اقتران الطلل بالحب المفقود يعل منهما عالما تغلفه الأسى والحزن "[1].

أثناء ذلك تشبيهات مختلفة حسب أنواعها كما رأينا في نموذجين الذين ذكرناهما، لذا نجد أن هناك ترابط وجداني بين الحبيبة والطلل ، هذا الطلل الذي يعد جزء من ذكريات الشاعر وحياته الماضية ، فكأن تجدد تلك الأماكن من خلال رموز الموجودة فيها كالرياح والأمطار والكتابة الباقية على الحجر ، ووجود الحيوانات كالناقة والظباء ، وكذا رحيل المرأة والحنين.

سابعا:النـــــار:

وذكر النويري نيران العرب ، وعدد منها أربع عشرا نارا ، منها القرى، فقال "نار القرى وهي من أعظم مفاخر العرب كانوا يوقدونها ليالي الشتاء ، ويرفعونها لمن يلتمس القرى ، فكلما كانت أضخم وموضعها أرفع كانت أفخر وهم يتمادحون بها"[2]

ونيران العرب هي الاستمطار ونار التحالف ونار الأهبة للحرب ، ونار الطرد، ونار الحرس ونار السعالى، ونار الأسد ، ونار القرى ، ونار السليم ، ونار الفداء ، ونار الوسم"[3]

- **النار الاستسقاء :**

(وتسمى نار الاستمطار) ويذكر الجاحظ أنها " النار التي كانوا يستمطرون بها في الجاهلية الأولى ، فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات ، وركد عليهم البلاء ، واشتدّ الجدب و احتاجوا إلى الاستمطار واجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعُشَر ، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران ، وضجّوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون ذلك من أسباب السّقيا"[4]

ويقول أميّة بن أبي الصلت في ذلك: (الخفيف)

---

[1] ينظر ، مرجع ننفسه ، ص 55_65.

[2] النويري، شهاب الدين أحمد ، نهاية الأدب في فنون الأدب ، القاهرة ، دار الكتب ، د/ت ،1/ 113.

[3] الجبوري : كامل عبد ربه : النار ودلالتها الفنية والموضوعية في الشعر الجاهلي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، جامعة القادسية ، العدد7،2010، ص10.

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط2، ج4، ص،466.

سَنةُ أزْمة تَّخيّل بالنا س، ترى للعِضاةِ فيها صَرِيرًا

إذ يسقُّون بالدقيقِ ،وكانوا قبلُ لا يأَكلُون شيئا فَطِيرا

ويسوقون **باقِرًا** ، يطردّ السّهـ ـلَ ،مهازيلَ خَشية أن يبُورا

عاقدينَ النِيران في **شكرِ**الأَذْ نابِ عمدًا ، كما تهيجا بحورا[1]

- **النار التحالف والحلف** :

فلا يعقدون حلفهم إلا عندها فيذكرون منافعها ويدعون الله بالحرمان من منافعها على الذي ينقض عهد الحلف فكانت لهم نار باليمن لها سدنة ، فإذا تفاقم أمر بين قوم حلفوا بها انقطع ما بينهم من تعاد وسموها الهولة ، والمهولة وكان سادنها إذ أتى برجل هيبةُ الجلف بها ، وكان لها قيم يطرح فيها الملح والكبريت ، فإذا وقع فيها استشاطت ونفضت ، فيقول له هذه النار قد تهددك ، فإن كان مذنباً نكل إن كان بريئا حلف.[2] قال الطبري : (وكان باليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم)[3]

ومنه قول أوس ابن حجر:

إذا استقبلته صدى بوجهه كما صدى عن نار المَّهول حالفُ[4]

- **نار الحرب:**

وهي النار التي كانوا إذا أرادوا حربا ، وتوقعوا جيشا عظيما و أرادوا اجتماعا أوقدوا ليلا على جبل نارا ليبلغ الخبر أصحابهم حتى يصدوا العدو عنهم في كل مكان و إذا جدّوا في جمع عشائرهم إليهم أوقدوا ناريين[5]

---

[1]أمية بن أبي صلت : ديوان ،تح: د/ عبد الحفيظ السلطي ، ط2، مكتبة الأطلس ، دمشق، ص396_398.

الباقر: البقر/ الشكر: جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل .

[2] المرجع السابق ، الجاحظ: الحيوان 4/ ص470.

[3]دلالة النار في الموروث القديم ، الباحثة سندس محمد عباس السعدي ،كلية القانون ، جامعة القادسية، ص15.

[4] أوس بن حجر : ديوان، تح: د/ يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ،ط2، 1967،ص69.

[5]المرجع السابق ،الحيوان: الجاحظ 4/ 474_475.

قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداةَ أوقِد في خَزازِ رفَدنَا فوقَ الرافِدينَا[1]

وما دل على نارين جاء في قول الفرزدق ، وهو يشيد بمواقف قبيلة تغلب في الجاهلية ، متعاطفا بطبيعة الحال مع الأخطل التغلبي ضدّ خصمهما المشترك جرير:

لولا فوارسَ تَعلبَ ابْنَةِ وائلٍ سدَّ العدوَّ عليكَ كُلَّ مكانِ

ضَربُوا الصنائع والملوك وأوقدوا نارين أشرفتا على النيران [2]

منه فقد توثقت العلاقة في الذاكرة الجاهلية بين الحرب والنار، وأصبحت النار تظهر في معظم اللوحات التي تصور مشاهد الصراع الحربي.

- **نار المسافر** :

(نار الطرد) وهي النار التي توقد خلف المسافر، و الزائر " وذلك أنهم إذا أحبوا أن لا يرجع أوقدوا خلفه

نارا ، وقالوا : أبعده الله وأسحقه"[3]

وهو معنى قول بشار :

صَحوتُ وأوقدَ للجَهل ناراً وردَّ عليك الصَّبا ما أسعَّار[4]

- **نار السليم**:

وهي نار "توقد للملدوغ إذا سهروا معه ، والمجروح إذا نزف ، ومن عضة الكلب الكِلَب فيوقدونها

[1] خطيب أبي زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ضبطه وصححه أ/ عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية بيروت _لبنان ، د/ط، د/ت ، ص 278.

[2] المرجع السابق، الجاحظ، الحيوان 474/4، 475.

[3] الجاحظ: الحيوان ، 4/ 473_474.

[4] ديوان : بشار بن برد، اعتني به السيد محمد بدر الدين العلوي ،بيروت دار الثقافة، ط1، ص120.

حتى لا ينموا فيشتدّ بهم الألم"[1] قاَل النابغة الذبياني:

يسهّدَ من **ليلِ التّمامِ** سليمَها لِحَلي النساء في يديه قعاقِع[2]

وهذا ما دل على أنهم كانوا يعلّقون عليه حلي النساء ،ويتركونه سبعة أيام كما قيل بعض الأعراب " إذا لدغ الرجل علقنا فيه الحلي سبعة أيام لتنفذ عنه الحمي"[3] ، ولا نستبعد أن تكون نار السليم في الأصل أنها كانت طقسا ميثولوجيا يلجأ إليه في حالات المرض.

- **نار الوسم:**

الوسم والمسم (التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة يقال للرجل : ما نار إبلك؟ فيقول **علاط،** و**أخباط** أو الحلقة [4]، أو كذا وكذا وقرب بعض اللصوص إبلا من الهواشة وقد أغاروا عليها من كل جانب ، وجمعوها من قبائل شتى؟ فقربها أحدهم إلى بعض الأسواق فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك لأنهم يعرفون بميسم كل كرام إبلهم من لؤمها فقال:

تسألني الباعةُ ما نِجَارَها ؟ إذ زعزعوها، فسمتْ أبصارُها

وكلّ دارٍ لأناس دارُها وكلّ نارِ العالميَن نارُهَا[5]

- **نار الفداء:**

وهي نوع آخر من النيران عرفها العرب فنار الفداء كانت " ملوكهم إذا سبوا قبيلة وطلبوا منهم الفداء

---

[1] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر 1/ 112.

[2] النابغة الذبياني : الديوان ، د/ عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت_ لبنان، ص 84.

يسهد : يمنع من النوم/ **ليل التمام** : ليالي الشتاء الطوال/ قال ابن الأعرابي : ليل التمام التي تطول على من قاساها وإن اقتصرت/ **القعاقع**: جمع قعقعة وهو صوت شديد.

[3] المصدر نفسه، ص 84.

[4] الجاحظ: الحيوان ،4/ 491

الوسم: تعليم على الإبل بالميسم وهو المكواة./ **العلاط**: سمة في عرض عنق البعير ، خطا أو خطين في جانب/ **خباط**: سمة تكون في الفخذ طويلة عرضا/ **الحلقة**: سمة على شكل حلقى في فخذ أو أصل الأذن.

[5] المرجع السابق دلالة النار في الموروث القديم ، ص16.النويري: نهاية الأرب،112/1.

كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن"[1]، قال الأعشى :

ومنَّا الذي أعْطَاهُ فِي الجمعِ ربُّهُ على فاقةٍ وللمُلُوكِ هِبَاتُهَا

سَبايا بني شَيْبَان يوم أُوارةٍ على النار إذ تُجْلَى لها فَتَيَاتُهَا[2]

- **نار القِرى:**

ونار القرى كانت من إحدى مكونات إبراز صفات المدح للبدوي، فهي دلالة على الكرم المقرون باشتعال نار الأضياف، وفي كتابه "الحيوان "عن نيران العرب وذكر منها نار القرى ، وذكر أنها النار التي ترفع للسفر ولمن يلتمس القرى ورأى أن هذه النار مذكورة على الحقيقة لا على المثل "[3]

فهذا الأعشى يقول مادحا:

لَعَمرِي لَقَدْ لاَحَتْ **عيونُ** كَثِيرةٌ إلى ضَوْءِ نارٍ فِي **يفاعٍ** تُحرقُ

تَشُبُ لمقرورين يَصْطَليانها وَبَات على النَّار الندى والمحلّقُ[4]

وإذا كانت النار ودلالاتها وإيحاءات من الموضوعات التي شغلت ذهن العربي فليس غريبا أن تأخذ طريقها إلى موضوعات القصيدة ، وقد أثر الرماد (وتوسيم الفحم) على الشاعر الجاهلي ، عندما يرى الأطلال ولم تبقى من صورة الحياة التي كانت عامرة بها هذه الديار غير هذا الرماد. مثلما لم يبق من حبّه الذي يلهب في صدره سوي بقايا من ذكرى تسّعر نارها في قلبه الحزين، وقد نفاجأ بأنّ النار التي تلدغنا هي النار التي تنيرنا والعاطفة التي تصدمنا هي العاطفة التي نريدها ، عندئذ يغدوا الحب عائلتنا ، والنار سكنا لنا ومنه فالشعراء يتحركون بوعي عندما يحاولون تخليد الطلل من خلال وصفه ووصف بقاياه [5]

---

[1] ديوان: الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ص87.

[2] إبراهيم شمس الدين : مجموع أيام العرب في الجاهلية و الإسلام ، دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان ص 46.

[3] الجاحظ: الحيوان ، ج5/ ص133.

[4] ديوان: الأعشى الكبير ميمون بن قيس ،د/ط ،د/ت ، ص223.

عيون: يقصد عيون الناس ، أطلق الجزء وأراد الكل/ يفاع : الأرض المرتفعة، وإنما يوقد الكريم النار على تلال والجبال ليعرف مكانه ، وليراها الناس من البعيد فيقصدوا إلى ضيافته.

[5] ينظر: دلالة النار في الموروث الجاهلي، ص 18.

✓ **طريقة اشتعال النار :**

كما ذكر الجاحظ كيفية اشتعال النار في قوله" وأقبلت عليه فقلت : لو عندك نارا لما أخرت إلى المنزل قال: فإن عندك نارا فأخرج عُوَيْدا من مِزْودهِ ، ثُم حكَّه بالعصا فأورت إيراءً المرخُ والعفارُ عنده لا شيء، ثم جمع ما قدر عليه من الغثاء والحشيش فأوقد نارَه "[1]

القدح:

هو نبات ينبت في المرتفعات الصخرية والتي تكثر في الصحراء ، وزهرته تشبه المزهرية الصغيرة وبها ما يشبه القطن الناعم ، حيث يؤخذ هذا القطن ويوضع في الكف ويوضع بجانبه حجر الصّوان فيقال قَدح النَار بالزّند قدحاً [2]، القديح ما بقى في أسفل القدر ، والمقدحة : ما تقدح به النار، والقداحة والقداح: الحجر الذي يؤري النار. [3]

(القدح المكب على الزناد الأجذم): إذ تتكون من الألفاظ (قدح ،المكب، الزناد)وفيها صورة لمسية مختصة بالإنسان ،إذ شبه حك الذباب إحدى يديه بالأخرى برجل مقطوع اليدين محاولا أن يقدح الزناد.[4]

الصوان:

حجر أملس صلب بأحجام مختلفة، والذي يستعمل منه لإشعال النار هو حجر أملس صغير يضرب لونه إلى الحمرة أو السواد ومنه قول الشاعر:

إذا **الأَمْعَزُ الصَّوّانُ** لاقَى مَناسِمِى تَطايَرَ مِنْهُ **قَادِحُ** وَمُفَلَّلُ[1]

---

[1] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيُن ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ج3، ط7، 1418هـ =1998 م ، ص 47.

[2] جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضيل إبراهيم، ج3،د/ط، د/ت، دار الكتب العلمية، ص167.

[3]الإمام المشر أبي حفض عمرو بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب ،تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، ج20، دار الكتب العلمية، 1971،بيروت –لبنان ، ص458.

[4] عبد الله خضر حمد: قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، العراق –أربيل، ص113.

القبس:

شعلة من النار[2]، ويقال الشعلة والقبس متقاربان في المعنى : وفي قوله تعالى{أو آتيكم بشهاب قبس} الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوسة منها ، وقيل: القبس هو العمود الذي في أحد طرفيه نار {لعكم تصطلون} يعني: تستدفئون من البرد وكان في شدة الشتاء[3]

ومن هنا نستنتج صعوبة القراءة صعوبة الإيحاء فهذه الجزيئات التي ذكرناها آل خيم، والأواري ، والأثافي كلها تدل على مغزى واحد وهي المرأة علاقة حميمية ، كما دلت الدمن والرماد على لوعة الشاعر واستذكاره ، والثمام يرمز إلي النار ، وهي نار أشواق بين القبائل ومحبة فكان المجلس القبائل يتحلفوا حول النار تجمع السمر،فعلاقة الأشواق هي محبة القبائل فكل هذه الأثار التي ذكرناها أثار قديمة.

[1] شنفرى : قصيدة لامية العرب، مطبعة الجوائب ، 1883، ص31.

الأمعز: المكان فيه حصى / **الصوان**: الحجارة الملس الواحدة / **القادح**: ما يخرج منه نار من الحصى وذلك من شدة وطئه والمفلل المكسر يقول إذا أصابت رجلي حجرا قدحت منه نارا وكسرتة.

[2] ابن المنظور : لسان العرب، مجلد3، دار الفكر د.ط/ د.ت/ ص123.

[3] علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي : تفسير الخازن، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين، ج4 دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،ص515

يعد الشعر الأندلسي صفحة مشرقة ضمن الموروث الأدبي العربي الكبير، الذي لا يمكن الاستغناء عنه وعن تجارب شعرائه ، الذي حاكى في أغلبه الشعر العربي المشرقي ، وفي هذا الفصل سنحاول الوقوف على نماذج من الشعر الأندلسي التي أرادا الشعراء الخروج فيه من القيد القصيدة التقليدية من حيث الإبداع والتجديد وسنعرج في بعضها على محاولات التجديد البارزة التي أجاد الأندلسيون فيه لتجسيد بيئتهم المتحضر بعيدا عن مظاهر البداوة والصحراء ، ولا سيما في وصف الطبيعة ، والخمريات ، الغزل، الرثاء التي تعد فنا إبداعاً جديداً .

أولا: مظاهر الطبيعة الأندلسية:

✓ وصف الربيع والجنان والرياض:

الربيع فصل ساحر وباعث على الإبداع وتفجير الشعور ، فلا يمكن أن يفوت على الشعراء ولم يغفلوا عن وصفه ، بما وهبهم الله من إلهام وزودهم من إيحاء ،وزادهم الطبيعة عشقا حيث العصافير تشدوا بمختلف الألحان ،والزهر يبتسم بتفتح أَكْمَامِه فيمتزج الجو بنسيم عطر الزهور فيقول إبراهيم بن السندي: "أيقظت أعرابيه أولاداً صغار قبل الفجر في غدوات الربيع وقالت: تنسموا هذه الأرواح واستنشقوا هذا النسيم، وتفهموا هذا النعيم ، فإنه يشد من متنكم"[1]، ففي فصل الربيع تزهوا الحياة في كل شيء ففيه تتناسل الحيوان وترق أحاسيس الإنسان وتتحول أغصان الأشجار والنباتات إلى ثمر بمختلف ألوانه فقد ورد في محكم التنزيل في قوله تعالى:{ وَهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابها} [2].

وقد كثر حديث الشعراء في العصر العباسي عن ألوان الزهور المختلفة ، وجعلوا لكل لون دلالة معنوية خاصة ، وكثيرا ما كانوا يتهادون بالزهور ، ويرسلون مع الهدية بطاقة فيها أبيات من الشعر وقد كان كذلك كله مظهرا حضاريا فتح أمام الشاعر أفقا جديدا للوصف ، واستغني فيه عن كثير

[1] أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة (مجموعة مسامرات في فنون شتى حاضر فيها الوزير أبا عبد الله العارفي في نحو أربعين ليلة، ضبط وتصحيح : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت _ لبنان ، د.ت ، ج2، ص67.

[2] الأنعام الآية 141.

من الأوصاف البدوية كوصف نبات الصحراء البري من بعر الآرام ودمن وأثافي ما أشبه ذلك من معالم حياة البادية ، ومع تقدم الزمن ازدادت عناية الشعراء بوصف الزهور وتنافسوا في وصفه[1]."

فالأندلس أسعد بلاد الله يكثر في سواحلها قصب السكر الموز، المعدومان في الأقاليم البارزة ، ولا يعدم منها إلا التمر ، ولها أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل :كالتين القوطي، والتين الشعري بإشبيلية "[2]

ويوضح في موضع آخران ثمار هذه البلاد لمالها من الفضل في الذوق واللذة ما يفوق ثمار غيرها من البلدان كالزبيب العسلي والرمان السفيري وهو ما يتجلى :في وهذين الصنفين حيث تر عيني ولم أذق لهما منذ خرجت من الأندلس ما يفضلهما ، وكذلك التين المالقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي والرمان السفيري و الخوخ والجوز ..." [3]

فهذا محمد بن هانئ يصف زهرة الزاهية:

وَبنتِ **أيك** كالشبَابِ النَّضِر كَأَنهَا بينَ الغُصونِ لخُضرِ

جنان بان أَو جِنانُ صقر قدْ حَلفْته لقوة بوكر

كَأنماَ محت لها بين نحر أو نشأت في تربة من جمرِ

أو رَويت بجدول من خمر لو كفّ عنها الدّهر صرف الدهر

جاءت بمثل النهر فوق الصدر تفتر عن مثل اللثات الحمر[4]

[1] عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والفن ، مكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر ط1، 1994،ص384.

[2] الشيخ أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، د. ط ، تح: إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1388هـ=1968م ، م1، ص200.

[3] نفسه ، ص200.

[4] الديوان : ابن هانئ الأندلسي ، شرحه : د/ عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت لبنان ، ط1، 1418هـ=1998م ص165،166.

الأيك: الشجر الكثير ، الملتف، جمع أيكة وبنت الأيك: زهرة الجلنار ، أي زهرة الرمان.

فالشاعر هنا يصف زهرة الرمان أراد بيت الأيكة زهرة الجلنار واستعار الأيك لشجر الرمان بجامع الالتفاف في الأيك وهو الشجر الملتف ، وأغصان شجر الرمان وشبهها كذلك بقاب الباز أو الصقر الذي تركته أمه في الوكر فوصفها بالشاة من فمها بعد النحر أو كأن تربتها التي نبتت فيها من الجمر فشبهها بالذي ارتوي من الخمر فأصبح محمرا وفالجلنار كأنها إنسان يعاني من مرارة الدهر، وفي البيت الأخير شبهها بالمرأة الممتلئة الصدر.

وهذا أحمد بن فرج يصف الرمان في أبهى صورة فيقول:

لاَبسة ضداً أَحمراَ أَتَتْكَ وقد حُليتْ جوهراً

كَأنك فاتح حُق لّطيف تضمن روحانه الأَحمراَ

حبُوبا كَمِلْ اللثتِ الحبيب رُضابا إذَا شَئت أو منتظرَا[1]

وقدْ شاع التهادي بالتُفاح في بلاد الأندلس ، وقرنه الشعراء بخدود المرأة في حمرتها فقد بعث أبو الحسين بن الحاج هدية من التفاح الأحمر الذي شبهه بالخدود النظرة ، والتفاح الأصفر الذي شبهه بخدود العاشق الخائف من الفراق فقال:

بَعثتُ لهَا ولا آلوكَ حمدّا هديّة ذي اصطِناع واعتلاق

خُدود الأَحبة وافين صبا وعُدنَ على ارتماض واحتراق

فحمرّ بعضها خجل التلاقي وصفّر بعضها وجلّ الفراقِ[2]

في هذه الأبيات التي ذكرناها دلت على استخدام الشاعر لورد الرمان والتفاح رمزا على لنهدي المرأة .

[1] المقري، نفح الطيب ، المرجع السابق، ص468.

[2] ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص408.

وكثيرا ما أحب شعراء الأندلس الجلوس تحت الأشجار حيث يجدون متعتهم في شرب الخمر والطرب وكانت شجرة "النارنج" الفواحة مكانا يقضون تحته أوقات جلّ المرح ، إضافة إلى حبهم لأورقها وأزهارها وثمارها فهذا ابن خفاجة يقول :

أَنْعَم فقد هبت النُعَامى ونَبَهتْ ريحهَا الحُزَامى

ومل إلى أيكة بلبل يهفُوا اهتزاز أبياتا قدَامى

تهزُ أَعطافِهَا القَوافِي لَهَا وَأَكْوَابِهَا النَدامَى

كَأَنَّ أُمًا بها رؤوما تحضُن مِن شربها يتامى[1]

و اهتمام الأندلسيون بالفلاحة والزراعة وحرصهم على الإكثار من الحدائق والبساتين لاسيما على ضفاف الأنهار وكانت هذه الحدائق تملأ النفس بهجة بما فيها من الأشجار والثمار والأزهار المختلفة وأنهار وينابيع ومياه وطيور مغردة"[2] . ولأبي العباس ابن الحديدة في روضة غناء يقول من الشعر :

أوَ مَا ترى الغيم المُعرس باكياً يذري الدمُوع على الرِياض شقيق[3]

فَكَأنَّ قطر دموعه من فوقها دُرّ تبددت في بساط عقيق

الشاعر هنا يدعو إلى التأمل في السحب المفعمة بالماء، والتي مكثت فترة طويلة تذرف العبرات على الروض ، حيث شبه قطرات المطر كالمجوهرات اللامعة تحط على الأزهار الزاهية، مثل الأحجار الكريمة.

فأكثر الشعراء من وصف الرياض في فصل الربيع ، حيث ترفل في حللها الخضراء وترتدي أجمل الألوان وتتفتح أزهارها ويفوح عطرها "[1]،وفي ذلك قول جعفر بن الآبار:

[1] ابن خفاجة ، الديوان ، ص264.

[2] فوزي عيسى : الأدب الأندلس في عصر الموحدين ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، 1430هـ =2009م، ص24.

[3] المرجع السابق ، حسن الرشيق القيرواني ، ص71 وما بعدها.

لَبس الربيع الطلق برد شبابه وافتر من عتباه بعد عتابه

ملك الفصول النثرى بثرائه متبرجا لوِ هاده وهضابه

فأراك بالأنواء وشي بروده وأراك بالأشجار خضر قبابه

أمسى يذهبها بشمس أصيلة وغدا يفضضها بدمع جنانه

كثيرا ما ينبهر الشعراء بالرياض والحدائق حين تهب عليها النسائم وتناغيها الريح الصبا فيعبرون عن تلك المشاهد الرائعة والتي تسحر الألباب ، إنه مشهد رياض هبت عليها فاهتزت أغصانها فجعل الشاعر من هبوب الريح صياح وعويل ، وجعل الغصن يميل نشوة ونشاطا ، وعرض لتحريم الخمرة فلجأ إلى التأويل ليجعل للأغصان وهي تتمايل طربًا كأنها تسبح بحمد الله سباحة حلالا وفي هذا البيت كثر التأويل إشارة إلى الحركة الفلسفة التي ضجت بها الأندلس في بلاد المغرب لذلك العهد"[2]

- ✓ **وصف الليل والصبح والسحاب والبرق والكواكب:**

هذه المظاهر من أهم مظاهر التي لفتت انتباه الشعراء المغاربة فيعبرون عنها بأساليب شعرية مختلفة :

وفي قول محمد بن هانئ يصف النجوم والكواكب في الليل يقول:[3]

أَلَيْلتَنَا، إذ أرسلتْ **واردًا وحفًا** وَبِتْنَا نرى الجَوزاء ، في أتنها **شنفًا**

وقّد وَلَتِ الظلماءُ تقفُو نجومَهَا وقد قام الجيش الفجرِ لليلِ واصطفا

وولَتْ نُجوم للثريا كأَنَّهَا خواتيمُ تبدُو في البنانِ يدٍ تخفىَ

---

[1] المرجع السابق، فوزي عيسى : الأدب في عصر الموحدين، ص27.

[2] حنا الفاخوري :تاريخ الأدب في المغرب العربي ، دار الجيل، بيروت – لبنان ، ط1، 1417هـ= 1997، ص159.

[3]. محمد بن هانئ الأندلسي : ديوانه ، ص271. 272.273.

الورد: الشعر الطويل المسترسل / **الوحف** : الكثيف المسود/ **الشنف** : ما يعلق في أعلن الأذن/ **الدبران** : نجم يتبع الثّريّا / **الرّدء:** العون والناصر/ **المرزم** : نجم من الشّعري اليمانية / **اليعوب** : الفرس السريع طويل/ **الطرف** : المهر/ **السجف** : الستر.

ومَرَ على آثارها **دَبَرانُها** كصاحب **ردءٍ** كُمنَّت خَيلُه خلفَا

وأقبلت الشعرَى العُبور، مُكِبَّة **بِمرْزَمِهَا اليعبُوب** تَجْنبُهُ طِرفا

وقد بَادرتها أختها من ورائها لِتُحرق من ثنييْ مجرتها **سجفا**

تخاف زئيرَ الليث يقدم نثرة وَبَرْبرَ في الظّلماء ، ينسفها نسفا

يشبه الشاعر ليلته بشعر المرأة أسود طويل وكأنها أرسلته على كتفيها ، وجعل للجوزاء قِرطا في أذنيها وجعل من الفجر والليل جيشين يتقاتلان ، هذا بضوئه وذاك بظلامه فغلب الفجر بنوره الليل الذي تولى مدبرا يتبع نجومه ، وأَفِلَتْ نجوم الثريا بعد ما كانت ظاهرة كالخواتيم في بنانَ يد امرأة خفية وأتبعها دبرانها كأنه قائد توارت خيله واستخفت خلفه عونا له ، أي أن كواكب الدبران غابت بعد أفول كواكب الثريا.

ومن الشعراء مغاربة الذين يشكو من بعض مظاهر الطبيعية ، مثل ابن رشيق الذي يشكو من الصبح إذا بزغ ويتمني أن يطول الليل برفقه الوجوه الملاح:[1]

أَيُهَا اللَيْلُ طلْ بِغيْرِ جَنَاحِ ليس لِلعين راحة في الصباح

كيفَ لا أَبغِضُ الصَّباح وفيه بانَ عني نُور الوجوه الملاحِ

فالشاعر في مقطوعته يشكو طلوع الصباح ويتمني أن يطول الليل وكيف لا يبغض الصبح وهو الذي فيه تنأى عنه الوجوه الجميلة ويتمني الشاعر من المحبوب أن لا يزوره إلا ليلاً، لأن الصبح يجعل الحبيب يغادر ويبقى الشاعر وحيدا . وفي موضع آخر يشكو من طول الصبح بالنظر إلى قلة المعين الحبيب

والصُبْح قد مَطل الليل العُيُونَ بهِ كأنَّهُ حاجة في يد **ضِنّينِ**[2]

[1] حسن بن رشيق القيرواني : الديوان ، ص61.

[2] المصدر سابق ، ديوان حسن بن رشيق القيرواني ، ص155.

شبه الشاعر في هذا البيت الصبح وهو يماطل الليل كأنه ان الليل طال انتظاره فالصبح كحاجة في يد بخيل شديد الشح حريص لا يفرط في حاجته .

✓ **وصف البحار والأنهار والوديان :**

الماء هو الحياة ولا يستطيع أن يستغني عنه الحي { وجَعَلْنَا من المَاءِ كلّ شيءٍ حيَا} فلا تزهر الحياة إلا به ولا يطيب عيش الإنسان إلا به ، ولا تستمد الأشجار و الحدائق إلا منه لذا اهتم الإنسان به منذ أقدم العصور وفي جميع أمكان تواجده ، فعبرا الشعراء عنه ووصفوا مصادر تواجده كالبحار والأنهار والوديان ، ووصفوا الجداول والسواقي والبحار ، سواء كان وصفهم إعجابا وتأملا أو رهبة وتفجع كالبحر والطوفان ، فكل هذا نابع عن شعورهم الداخلي ، يقول أبو الحسين محمد بن إسماعيل بن إسحاق الكاتب في وصف البحر :[1]

أنظر إلى البحر وأمواجه فقد علاها زبد مسيقْ

تخَالها العين إذا أقبلت خيلا بَدتْ في حلبة تَستَبقْ

حُمراً ودُهمًا فإذا مادَنَتْ من شاطئ البحر علاها بَلقْ

دُبُورُها درٌّ وأكفالها ألبسها .. صبيب العرقْ

لقد انهبر الشاعر من البحر وأمواجه المزبدة ، حيث يصور أمواج البحر وهي تعانق رمال الشاطئ وما يعلوها من زبد ، ويخالها خيلا تستبق في حلبة يراها حيث تعانق الرمال يعلوها لونان أسود وابيض من الزّبد مما جعلها بلقاء في مرأى العين ، وكأنما الرمال تخيلها درّا سائلا بينما أواخرها يتصببُ عرقا أو زبدا[2].

[1] حسن بن رشيق :أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، شرح: صلاح الدين الهواري وهدى عودة ، دار الجيل ، بيروت _ لبنان ص360 وما بعدها.

[2] شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ، ج9، ص263.

فهنا ابن رشيق القيروان يشكو من رُكوب البحر ومخاطره وأهواله فيقول:[1]

البَحرُ صعبُ المرامُ مُرّ لا جعلت حَاجتي إليه

أليس ماءٌ ونحن طين فما عسى صبرنا عليه

فالشاعر يخاف البحر ويهابه و يراه محفوفا بالمكارة ويتمنى ألا يضطر إلى ركوبه ، ويرى البحر ماء ونحن بشر طين وخاف منه لأنه قد يذوب فيه ويتحلل فيه فحين يراه يخاف منه خوفا كما يذوب الطين في الماء.

أما عبد الجبار بن حمديس في وصف النهر يقول:[2]

ومُطرد الأَجزاءِ يصقُل مَتْنَهُ صَبًّا أعلنتُ للعين ما في ضميره

جريحٌ بأطراف الحصىَ كلمَا جَرى عليها شَكا أوجاعه بحريره

كأنَّ جبانًا ربع تحت حبابِه فأقبل يُلقى نفسهُ في غديره

يصف الشاعر النهر إنسانا جريحا يعاني من آلام جروحه يقول حنا الفاخوري واصفا هذا المشهد بأنه لوحة فنية ناطقة ، فالنهر يجري صقيل المتن ، تعلن العين تُبْدى ما في ضمير النهر فخريره حديث يشكو فيه أوجاع وأنين جريح ورغم قساوة الأحجار التي عليه يظهر رقته وصفاءه البلوري[3]

ويظهر ابن خفاجة صورة نهر يجري بمائه العذب والزهر والأشجار تحفة كأنه سوار امرأة في معرّجه ويشبه إلى حدّما مجرات سماء ، يقول الشاعر مفضلا ماءه الفضي العذب على شفاه المرأة الحسناء :

لله نَهرُ سَالَ في بَطْحَاءِ أَشْهى وُرُودًا من لمَى الحَسناءِ[4]

---

[1] حسن بن رشيق القيرواني : الديوان ، ص174.

[2] حمديس ديوانه ، ص114.

[3] ينظر حنا الفاخوري : تاريخ الأدب في المغرب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1417هـ = 1997م ، ص147.

[4] ابن خفاجة ، الديوان ، ص13.

مُتطّفٌ مثل السوار كأنه والزهرُ يكْنُفُهُ مَجَرَ سماءِ

فرقَّ حتَى ظن قرصا مُفْرغا من فضّة في بردَة خَضْرَاءِ

أما القاضي أبي الحسن بن زنباع فيقول في وصف الجداول المنسكبة بين الجبال في الطبيعة الساحرة الربيعية حين يقول:[1]

وتصوبت فيها فروع جداول تتصاعد الأبصار في تصويبها

تطفو وترسب في أصول ثِمارها والحسن بين طفوها ورسوبها

فكأنما هي موجسات أساود تنساب من أنقابها للصوبها

يصف الجداول المنسكبة بين الجبال وهي محفوفة بالأشجار المثمرة التي زادتها جمالا على جمال في حسن منظرها ، والثمر يتساقط من الشجر فتارة يطفو فوق الماء وطورا يترسب في أسفله لتزداد متعة لناظر إليها فكأنها موجسات أساود تنسكب من أعاليها إلى المجاري التي يسيل فيها الماء .

وهذه الصورة مستوحاة من الطبيعة المغربية التي تتخللها جداول ماء وأشجار مثمرة يسقط بعض بثمرها بعد النضج في الماء.

ثانيا: أثر البيئة الأندلسية على نفسية الشاعر:

✓ **عشق للمكان:**

عشق الشاعر للمكان له علاقة وطيدة مع ذكرياته التي تشمل فترة الطفولة ومغامراته مع المحبوبة وما تحمله تلك اللحظات من مشاعر و أحاسيس كفرحة اللقاء بعد الحنين اللقاء ، أو دموع الفراق أو الوداع وحالة القرب والوصال إن هذه اللحظات تبقى على مرّ الزمن في أذهان الشعراء لا يمكن محوها أو نسيانها.

[1] عبد الله كنون الحسني : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، بيروت_ لبنان ، ج3، د/ط ، د.ت ، ص722

تلك الذكريات التي لا تنسى يخلدها المكان مما المكان يجعله بصمة حافلة بأنواع المشاعر و يحيي الشاعر تلك الدقائق من الزمن الذي مضى فتجعله يسترسل أبياتا في يعبر فيها عن جمال تلك اللحظات التي جمعته بمن يحب ، ومن هؤلاء الشعراء ابن الزيدون الذي كانت له قصائد كثيرة يتذكر فيها وطنه ويتشوق إلى محبوبته فلما عاد إلى قرطبة بعد معاناة التغريب والنوى فأخذه الشوق إلى مدينة الزهراء مكان لقائه بمحبوبته فأخذ يتجول بين رياضها وبساتينها ، ليكتحل عيناه بجزيئات المكا ويستنشق عبر الذكريات الماضي السعيد ومن ذلك حبه لولادة ، وفي خضم هذه الذكريات يتعانق فيها المكان بالمرأة ، فنظم قصيدته في ظلال هذا المكان مدينة الزهراء وعمد إلى ذكر كل تفاصيل المكان وأجزائه في لحظة شاعرية في قوله: [1]

إِنِي ذكرتُكِ بالزَهراءِ مشتاقًا و الأُفق طلق مرأى الأَرض قد راقا

و للنسيم اعتلا في أصائله كأنه رق لي فاعتل إشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم كما حللتُ عن اللبات أطواقا

ونلهو بما يستميل العين من زهر حال الندى حتى أمال أعناقا

وكأن أعينه ، إذا عاينت أرضي بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

ورد تألق في ضاحي منابته فازداد منه الضحى في العين إشراقا

سرى ينافحه نيلفور عبق وسنان نبه منه الصح أحداقا

وهذا الشاعر الأندلس ابن الحداد قد وقف على الشاطئ الوادي الكبير فنظر في فضاء المكان بعينه إلى أن تثبتت عينه على جزء منه فأخذ يدعو لهذا الجزء بالسقيا والاستمطار على عادة العرب القدامى، إذا طالما سقاه من الحب والود والصفاء قائلا:[2]

أَيَا شَجرات الحي مِن شاطِئ الوَادِي سَقاكَ الحيا سقياك للدنف الصادي

[1] أبي حسن علي بن بسام الشنتمري : الذخيرة في محاسن الأهل الجزيرة ، تح: حسان عباس، مجلد1 ، دار الثقافة بيروت – لبنان ص364،365.

[2] ينظر، شعر أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي، جمع وتحقيق و تقديم: منال فيزل، ط1، 1405هـ=1985م، ص 56.

فكانت لنَا في ظلكُنَ عشبة نَسيَت بها حسنا صبيحة أعيادي

ساعدتْنِي من زمَانِي سعادة فقابلنِي أنس الحبيب بإسعادي

فيا شجرات أثمرتْ كل لذة جناك لذيذ لو جنيت على الغادي

فهل لي إلى الظبي الذي كان آنسا بظلك من تجديد عهد وترداد؟

وقلبي على أغصان دوحك طائر ينوح ويشدو والهوى نائح شاد

فلئن كان خطاب الشاعر موجه إلى شجرات الحي بشاطئ الوادي فهذه الشجرات جزء من المكان يشكل بؤرة معاناته الخاصة ، ففي هذا الجزء وتحت ظل الشجرات بالضبط خفق قلبه مع محبوبته وتناول معها كأس الهوى وما لذ وطاب ، لذلك يتمنى استعادْ ذلك العهد القديم والعودة الثانية مع من يحب إلى هذا مكان من جديد (فهل لي إلى الظبي الذي كان آنسا...) .

ويحدد ابن حداد في مقطوعة أخرى المكان الذي فتق أحزانه وفضح تباريح هواه فيقول:[1]

يَا غائبا خطرات القلب محضره الصبر بعدك شيء لست أقدره

تركت قلبي وأشواقي تفطّره ودمع عينيّ آماقي تقطره

لو كنت تبصرني تدمير حالتنا إذن لأشفقت مما كنت تبصره

فالنفس بعدك لا تخلي للذاتها والعيش بعدك لا يصفو مكّدره

أخفى اشتياقي وما أطويه من أسف على البرية والأشواق تظهره

تمثل الطبيعة الأندلسية عند ابن حمديس جمال البساتين وما احتوته من متعة الحياة فكان الجو عطرا تتخلل رائحة الزهور الفواحة والمسك الترب المتضوع في أرجائه ومما يزيد المكان بهجة وسرورا هو شرب الخمر التي تبعث في نفسه النشوة العارمة فيقول:[2]

[1] نفسه ، ص63.

[2] ديوان : ابن حمديس ، صححه وقدم له : د/إحسان عباس ، دار صار بيروت ، 82_85

الرياح: الثقيلة ، المرأة ذات العجز الضخم/ يقال كافور: رباحي نسبة إلى رباح، قيل هو البلد الذي يجلب منه.

طَرَقْت والليل ممدودُ الجنَاحَ مرحبًا بالشمس في غير صباح

فاشربِ الرَّاح ولا تُحْلِ يَدًا من يد اللهوِ غُدُوًا ورواح

ثقلِ الرَّاحة من كاساتها بردَاحٍ من يدِ الخودِ **الردّاح**

في حديق غَرس الغيثُ به عَبقُ الأَرواح موشيّ البطاح

أَرْضَعَ الغيمُ لبانًا بانَهُ فتربتْ فيه قاماتُ الملاح

كل غصنٍ تعتري أعطافَهُ رِعْدةُ النشوان من كأس اصطباح

فكأن الترب المسك أذفرٌ وكأن الطلّ **كافور** رباح

وكأَنَّ الروض رشّت زهرهُ بمياهِ الوردِ أفواهُ الرّياح

ومن طبيعي أن تتشابه تجارب الشعراء الأندلس حول المكان فهذا السراج يذكر صاحبته بالوادي الكبير كل ما مر به وفيه أُشْغل أوّلُ فتيل للحب بينهما ، فهاجت نفسه، فأخذ ينشد نغما ، ويدندن لحنا ملؤه الشوق واللهفة دعيا له بسقيا المطر كعادة العرب قديما :[1]

ذكرتكِ بالوادي الذي كنت مرة به والهَوى ما بيننَا أبدًا غر

فحرك مني باعثُ الشوق ساكنًا وكلفني صبرًا ومن أين لي صبر؟

فيا نازحًا والدار مني قريبة إلى كم يطول الصد لي منك والهجر؟

إذا الله يوما خص بالقطر ساحة فلا زال منهلًا بساحتك القطر

المكان عند الشاعر في هذه الأبيات نبه على شرارة حبه، أثار أحاسيس الشاعر فالنهر لديه ليس أي مكان يحمل في طياته جملة من الذكريات ومن خلال أبياته نلتمس تجدد مشاعره و أحزانه كما أثار أشواقه الكامنة التي لا يستطيع اخفاءها لأن المكان فضح تلك المشاعر من لوعة الفراق وتشتت فيدعو للمكان بالسقيا والمطر هنا معادل موضوعي للدموع التي يذرفها .

[1] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لأبي حسن علي بن بسام الشنتمريني ، تح: د/ إحسان عباس ، ليبيا تونس ، الدار المعرفة للكتاب 1395هـ =1975م، مج 2، ق1، ص179.

ويتكرر حديث الشاعر في قصيدة أخرى عن المكان نفسه منشدا أبياتا حباً وغرامًا:[1]

خليلي في ريح الصبا لو تنسمت علينا شفاءٌ من هوى متسعر

رسولُ التي في صوا سوطٌ لحظها على هائم مثليا غير مقصر

تذكرت بالوادي زمانًا لقيتها به فيه والمُشتاق حلف تذكر

فلو صب في كأسي أذى لشربته على شرط أن أسقاه من كف أزهر

فالمشتاق نصيبه التذكر أينما حل ، وحيثما ارتحل، كما في الأبيات التي نبهت على أن الشاعر لم يقف على الوادي وإنما ذكرى من كانت به ، فقد هبت عليه ريح الصبا تحمل البّلسم الشافي القلب أوقدت فيه نار الهوي في البيت الثالث تذكر ذلك الوادي الذي تحمل بين طياته حبهما ، ومنه فذكرى المكان مرتبط بالزمان الذي التقى فيه ، ووصل الحب مداه في القلب المفتون حتى إذا ما سقى كأسا به الأذى لشربه ، بشرط أن يكون من كف صاحبته وكل هذه التفاصيل التي ذكرها بسبب ما أثاره المكان فهو تعبرا عن عشق داخلي قديم.

أما ابن حمديس فقد اشتهى شرب الراح في جو طبيعي بهيج تغمره رائحة الأزهار مع ألحان زقزقة العصافير التي تزيد الجو جمالا وتدفعه إلى التلذذ أكثر بشرب الخمر، فثارت في نفسه متعة لهو وسببه تغني بطبيعة بلاده الفاتنة الجمال ، ومن كثرة إعجابه ببلده دفعته إلي شرب الخمر لاحتسائها في جو جميل يقول:[2]

يَا حَبّذا ما تبصر العَيْن من أَنجم راح فوق أَفلاكِ راح

في روضة غناء غنّت بها في قضبِ الأوراق ورقٌ فِصاح

أو ساجعٍ تحسبُ ألحانه من كل ندمانٍ عليه اقتراح

ومن بين مظاهر الطبيعة الفاتنة ومجالس اللهو المرحة نجد الشاعر الصقلي يريح نفسه ومما يبعث في وجدانه البهجة ففي أبيات الشعرية يتحدث عن مجموعة نزلوا إلى رياض رائعة مليئة بالأشجار

[1] المصدر السابق، الذخيرة ، مج 2، ق1، ص872.

[2] ديوان : حمديس ، 90..

أين وجدوا متعة غمرت قلوبهم خاصة مع كاسات الخمرة المسكرة وشردت عقولهم بعيدا عن الواقع ومنه يقول : [1]

لله درُ عصابة نزلوا بينَ الرِياضِ مجالِسا خضْرَا

شَرَبوا بِكاساتِ معتقة شردت عقولهم بها سكرَا

وكأَنّما الأَقمارُ تلثمُ من أيدِي السقاةِ كواكبًا زُهرَا

وفي رائية يستحضر الشاعر أيام صباه في صقلية ، أيام شهد فيها متعة خاصة في مجالس اللهو بمشاركة ندمائه في شرب الخمرة الممزوجة بلثات الجواري والقيان الراقصات فقد أطال في وصف مجالس الطرب وغناء والرقص فهي أشبه بشريط الذكريات ، وفي هذا الصدد يقول:[2]

قضت في الصّبا النفس وأطارها وأبلغها الشيبُ إنذَارهَا

نعم وأجْيَلَتْ قِداحُ الهَوى عليها فقسّمنَ أعشارها

وقد سكَت حركاتُ الأَسى قيان تحّرك أوتارها

فهذي تعانقُ لِي عودهاَ وتاك تُقبلُ مزمارهَا

وراقصةٍ لقطت رجلها حساب يدٍ نَقرتْ طرها

وقضبٍ من الشمع مُصْفَرّةُ تريك من النار نوارها

كأنّ لها عمدًا صفقت وقد وزن العدل أقطارها

وعادة أحب الأندلسين الجلوس حول البرك ، وقضاء أمتع أوقاتهم يطربون ويغنون ويشربون الخمرة في جو زاهٍ تزيده أزهار النيلفور الأحمر المنعكسة على الماء أكثر بهجة وسرورا وفي هذا الشأن يقول ابن حمديس:[3]

[1] المصدر نفسه ، ص180.

[2] المصدر نفسه ،ص180.

[3] ابن حمديس، الديوان ، مصدر سابق، ص5.

أَشرب على بركة نيلوفر محمرة النّوارِ خضراءِ

كأنما أزهارها أخرجت ألسنة النارِ من الماءِ

وقد يتحدث الشاعر عن رياض ممتلئة بأزهار شقائق النعمان الفواحة المبللة بقطر الندى كالقيان اللاتي يمشطن شعورهن ويرقصن في غلائل حمراء رائحتها الطيبة تثير في النفس بهجة وسرورا وتنسيه أحزانه، يقول:[1]

نظرت إلى حسن الرياض وغيمها جرى دمعُه منهن في أعين الزّهر

فلم تر عيني بينها كشقائق تبللها الأرواح في القضب الخضر

كما مشطتْ غيد القبلين شعورها وقامت لرقص في غلائها الحُمر

وفي المقدمة الخمرية تغني الشاعر بالخمرة الباعثة في نفسه النشوة فراح يدعوا الأمير يحي بن تميم بن المعز إلى شربها صباحا في رحاب طبيعة خضراء تزيده الفرحة والمتعة ، يقول:[2]

تغنَت قلين الورقُ في الورق الخضرِ فجر ينابيع المدام مع الفجر

وخذ من فتاة الغيد راحا سيئة لها قدم في السبق من قدم العمر

و إن ندى ما زال يدعوا رياضة إليها الندامى وهي في حلل الزهر

فتجلوهم أيدي السقاه عرائسا تري دّر أزرارا لأثوابها الحمر

إن مشهد الفرح والسرور التي عاشها الشاعر فوصف ساقية ماء مستديرة في بستان يرفقه الندامى على جوانبها متقابلون بحيث يضع ساقيتهم تسقيهم خمرا وهي تقول"كاسك يا فلان، فيجرى بها الماء إلى يده فيتناولها ويشرب ما فيها ويرسلها في الماء إلى ذلك فتعود إلي يد الساقي من ناحية أخري"[3]

[1] المصدر نفسه ،ص192.

[2] ابن حمديس المصدر سابق، ص214.

[3] علي مطشر نعيمة، عبد الكاظم عذاري: صورة البحر ودلالتها في شعر ابن حمديس ،146.

يقول:[1]

وساقيتنا ماءً يُنيل بلا يد ومشروبَنَا نارًا تضئ بلا جمر

سقانا مسرّاتٍ فكان جزاؤهُ عليها لدينا أنْ سقيناه للبحر

كأنّنا على شطِّ الخليج مدائنٌ تسافرُ فيما بيننا سُفُنُ الخمر

وإذا كان للمكان أثر في نفسية الشاعر ، فقد كان الحمام ، عشق الشاعر الأندلسي له يحوله إلى امرأة جميلة فاتنة بالرمز يتذكرها الحبيب ، يتحول من مقفرا إلى مكان ممتلئ بالأحاسيس فهذا الشاعر أبي الحسن الإشبيلي الذي كان يوما مشرفا على وادي قرطبة في مجلس أنس لهو فيتذكر موطنه (إشبيليا) متحسرا على فراقه فقال:[2]

ذَكرتكِ يا حمص ذكرى هوى أماتَ الحسُود و تعنيته

كأنك والشمس عند الغروب عروس من الحسن منحوته

عند النهر عقدك والطود تاجك والشمس في أعلاه ياقوته

فقد ذكر على أنه عروس تحمل أجمل الأوصاف ترتدي أحسن الحلل فزادها حسنا فوق حسن النهر" وما يلحق به من أزهار كأنه عقد نفيس يتألق في جيد إشبيلية والجبل من ورائها كأنه تاج معقود على رأسها ترصعه في أعلاه ياقوتة الشمس البديعية"[3].

إشبيليا رمز الهوى والعشق أثارت في قلب الشاعر لوعة لأن" إشبيلية عروس بلاد الأندلس تاجها الشرف وفي عنقها سمط النهر الأعظم فليس في الأرض أتم حسنا من هذا النهر ، يضاهي نهر دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للنزهة والسير والصيد تحت ظلال الثمار ، وتغريد الأطيار..."[4]

[1] ابن حمديس ، الديوان ،ص 193.

[2] الذخيرة ، مج1، ق2، ص166.

[3] عصر الدول الإمارات الأندلس ، ص213.

[4] النفح الطيب ، للمقري التلمساني ، 1، ص313.

وقال أيضا : لا يتزود فيها أحد بماء فحيثما سلك لكثرة أنهارها ، وربما لقى المسافر فيها في اليوم الواحد أربع مدائن لها من المعاقل والقرى مالا يحصى وهي بطاح خضر، وقصور بيض"[1]

أما ابن حمديس يتحدث عن حديقة جميلة أشجار المثمرة سلبت أنظاره على أغصانها طيور لا تستطيع أن تنهض أو تطير ، والماء الصافي الفضي يندفع يحدث صوتا وكأنه صغيرايقول:[2]

وبديعة الثمرات تعبر نحوها عيناي بحر عجائب مسجورا

شجرية ذهبية نزعت إلى سحر يؤثر في النهى تأثيرا

قد صولجت أغصانها فكأنما قنصت لهنّ من الفضاء طيورا

وكأنّما تأبي لواقع طيرها أن تستقل بنهضها وتطيرا

من كل واقعة ترى منقارها ماء كسلسال اللجين نميرا

خرس تُعد من الفصّاح فإن شدت جعلت تغرد بالمياه صفيرا

ويظهر هنا جليا حب الشاعر لوطنه ومدى عشقه له مما جعله يصفها بالجنة لما عاشه رغادة العيش يقول:[3]

وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها لا الشقاء

سيطر الوطن على فكر الشاعر واتسعت دائرته في قلبه فقد عشقه حيث جعله يشبهه بالجنة الخلد يقول:

فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدث أخياره

إن تطور الحضارة أدخل الشعراء الأندلسيون في العديد من المظاهر الحضارية وأيقظ في نفوس أهلها شعلة وجدانية دفعتهم إلى التحدث عنها فقد أعجبوا بجمالها وهذه التي تجلت القصور

[1] نفسه ، ص313.

[2] ابن حمديس ، الديوان سابق ، ص547/ 548

[3] ديوان : ابن حمديس ، ص 4.

والبرك والنوافير ،"وقد كانت قصور الخلفاء التي تفننوا في بنائها وجعلوها بهجة للعين والنفس فهي من العناصر التي فتنت الشعراء فأبدعوا في تصوريها كما أبدع أولئك في تشيدها"[1]، فهم يذكرون المدن و الأوطان التي عاشوا فيها ثم رحلوا عنها لظروف ما وبقوا متشوقين لربوعها ومن هؤلاء الشعراء نجد محمد ابن هانئ الذي يقول في وصف مبني أحد الخلفاء الفاطميين من قصيدته رائعة:[2]

الشَّمْسُ عَنهُ كَلِيلة أَجْفانُهَا عَبْرَى ،يَضِيقُ بِسِرِّهَا كِتْمَانُهَا

لَوْ نَستطِعُ ضِياءهُ لَدَنَتْ لَهُ **يَعْشُوا** إِلى لَمَعَانِهِ لَمَعَانُهَا

تَعْدُوا القصورُ البِيضُ، في جَنَبَاتِه **صُوْرًا** إِلَيْهِ ،يَكِلُّ عنهُ عِيَانُهَا

والقُبَّةُ البَيضاءُ طَائِرَةٌ بِهِ تَهْوى ، **بِمُنْخَرَق** الصِبَا ، أَعْنَاقهاَ

ضرُبَتْ بأَزْوقةٍ ،**تُرَفرِفُ** فوقهَا فهَوى ،بِفتْحِ **قوادمٍ** ، خَفَقَانُهَا

عَلياءُ **مُوفية** على عَليائهِ في حيث أسلمَ مُقلةً **إنسَانُهَا**

بطنانُهَا وَشيُ البرود ، وعصبُهَا فكأنّما **قوهِيُّهَا** ظُهْرَاُهَا

نِيطت أكاليلُ بِها مَنظومة فعُدا يُضاحِكُ ، دُرَّهَا ، مرجَانُهَا

وَتعرَّضتْ طُرَرُ السُتورُ، كَأَنّهَا عَذباتُ أَوْشِحَةٍ، يَرُوقُ جُمَانُهَا

وكَأَنَّ أَفوَافَ الرِّيَاضِ نُثِرْنَ في صَفَحاتِهَا ،فتفَوفتْ ألوانها

فأَدِرْ جُفُونِكَ، واكتَحِلْ بِمنَاظِر غَشَّى، فِرْنَدَ لجَيْنِهَا ، عِقيَانُهَا

---

[1] عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والفن ، ص382.

[2] ابن هانئ الأندلسي : الديوان ، ص 331/330/329.

صور : ميلان واعوجاج / **المُنخرقُ**: المتسع في السخاء / **ترفرف**: تبسط جناحيها وتحركهما/ **الفتخ**: العقبان/ **القوادم**: ريشات كبار في مقدم جناح الطائر/ **موفية**: من أوفى، أشرف / **الإنسان**: المثال يرى في سواد العين/ **القوهي**: ثوب أبيض منسوب إلى قوهستان.

لِتَرى فُنُونَ السّحْرِ أمثلةً ، وَمَا يُدْرِي الجَهُولَ، لَعلها أعيَانها

يصف قصر بن جعفر ألمع من نور الشمس وهي لا تستطيع كتمان هذا السر الفتّان ولمعانها والقصور البيض الواقعة في جوانبه فهي تقتبس من نوره، أمّا القصر نفسه فهو أجلّ من أن يتوجه إليها، له قبة بيضاء تراها لرفعتها كأنها التطير به، تسقط رؤوسها الصّبا الشديدة الهبوب ، ضربت عليه فوقها أوشحة ترفرف كقوادم الطائر ،عالية شريفة في عليائها ، تلمع كما يلمع المثال في سواد العين وبطنه مطرز بوشي كالبرود وظهره أبيض كالثوب صنعت في قوستها، علقت بها حجارة الكريمة وكأن نقوش الرّياض انتثرت فوقها فزادتها جمالا.

وقد عاش ابن حمديس في بيئة شهدت حضارة عريقة خطفت أنظاره ولاسيما تلك القصور والبرك فنظم أبيات شعرية عبر فيها عن مدى إعجابه بمناظر تلك القصور وقضاء أجمل أوقاته في ساحاتها المتألقة، وقد تأنق الشاعر في وصف إعجابه بقصر بناه المنصور بن أعلي الناس فيه كان لمعانة يخطف الأبصار ويستثير الأفئدة وتتلذذ العين رؤية شموخه وضخامة بنائه فيقول:[1]

أعليت بين النجم والدبران قصرا بناه من السعادة بان

فضح الخورنق والسّدير بحسنه وسما بقمته على الإيوان

فإذا نظرت إلى مراتب ملكه وبدت إليك شواهد البرهان

أوجنت للمنصور سابقة العلى وعادات عن كسرى أنو شروان

قصر يقتصر ، وهو غير مقصر عن وصفه في الحسن والإحسان

وكأنه من درة شفافة تقضي العيون بشدة اللمعان

لا يرتقي الرّاقي إلى رقاته إلا بمعراج من اللحظات

وفي حبة غناء فردوسية محفوفة بالرّوح والرّيحان

[1] ابن حمديس ، الديوان ، ص494. 495.

افتتن ابن حمديس في وصف قصر بناه المنصور بن أعلى الناس إذ وصفه وصفا ممتعا ينال إعجاب الناظر فجماله ورونقه يعيد البصر الأعمى ونسيمه ينس الروح في الميت فيعيد إحياءه من جديد وروعته جعلت الفرس يعجز عن الإتيان بمثله. إن بهاء هذا القصر وجماله مست مشاعر الشاعر وحرّكها فكأنه يسبح في بحر الأحلام والأوهام إذ نظر إلى القصر ظانا أنه فردوس فقد سحره المكان وأطلق في نفسه بهجة وسرورا وكأنه في جنة الخلد: يقول[1]

واعمر بقصر الملك ناديك الذي أضحى بمجدك بينه معمورا

قصر لو أتك كحلت بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

واشتق من معني الحياة نسيمة فيكاد يحدث للعظام نشورا

ومضت على الرّوم الدهور وما بنوا لملوكهم شبها له ونظيرا

أذكرتنا لنا الفردوس حين أريتنا غرقا رفعت بناءها وقصور

أبصرته فرأيت أبدع منظر ثم أنثنت ناظري محسورا

وظننت أني حام في جنة لما رأيت الملك فيه كبيرا

وما زاد القصر روعة وجمالا هو بركة في غابة الجمال بناها المنصور ، وأثرت في شاعرنا ابن حمديس فانبهر بجمالها وحركت خياله فقد كانت بركة في ساحة القصر بها تماثيل مصنوعة من معدن شبيه بالذهب تسكن المكان ، وماء كالبلور يتدفق من ثغورها محدثا صوتا كزئير الأسود حقيقة، والجداول تجري بين أيدها كأنها تمسك سيوفا وقد ذابت بلا نار فأصبحت غديرا.

ثالثا: الحنين إلى البيئة الأندلسية:

الحنين باب قديم في الشعر العربي ، فالشاعر العربي عرف عنه الحنين والبكاء غير أن هذا الشعر تطورا في الأندلس ، بسبب سقوط كثيرا من أجزاء البلاد في يد الإسبان وهجره كثير من الأندلسيين

[1] المصدر السابق ،ص 545، 546.

إلى المغرب أو بلاد المشرق ، تاركين وطنهم وقد أفاض ذلك الدموع في أشعارهم ، فعبروا عن لوعتهم وحسرتهم وشوقهم ومعاناتهم..."[1]

- **الحنين إلي محبوبة/ عبر الحمائم:**

من مثيرات الحنين إلى الطبيعة ، الحمامة ، التي عرفت بقربها للإنسان ، وربما كان هذا سببا ظن الشعراء أن هديل الحمائم أمر نواحه كان سببا لمفارقة المكان تماما كالإنسان الذي يفارق وطنه ويحن إليه لذلك يأنسون لنواح الحمام ليشاركهم حزنهم ، ومن هذا قول ابن شهيد:[2]

وقد شَاقنِي الوَرقُ السَواجعِ بالضحى ومن يستمع داعي الصبابةِ يشتَق

على فَنَنٍ من أيكةٍ قد تعلَّقت بحبل النَّوى من قلبي المتعلّقِ

فصدقتها في البينِ من غير عبرة وكم من كثيرِ الدمعِ غير مصدق

في هذه الأبيات يرى ابن شهيد أن سجع الحمام حرك لديه الأشواق كأنه داع يدعو إلى الشوق فصور هذه الحمائم وهي تقف على الحبل النوى والبعد بينما هو متعلق بحبل وصال محبوبته ويدعوه إلى التشوق إلى لقاءها لا دموع وكم من دمع يُذرف لكن غير صادق .

فهناك علاقة وطيدة بين الحمام والحنين إلى الإلف وحنين الشاعر إلى إلفه يقول الرمادي:[3]

أَحمامة فوقَ الأراكةِ خبري بحياةِ من أَبكاكِ ما أَبكاكِ؟

أماَ أَنا فَبَكَيْتُ من حرقٍ وفِراق من أهوى أأنتِ

فالشاعر هنا يسأل "حمامة" وينتظر جوابها لتشاركه حاله، فذكر الحمامة مفارقه أن تقسم بحياة من أبكاها ، مما يدل على صدق حنين الحمائم في كثير من الأوقات وصدقه مع محبوبته إلى أن يصل في الأخير إلى شكوى كل منهما إلى صاحبة ألم الفراق وحدّة الأشواق الحارة .

[1] يوسف الطويل : مدخل إلى الأدب الأندلسي ، دارالفكر اللبناني ، بيروت، ط1، 1991م ،ص 135.

[2] ديوان ابن شهيد الأندلسي، تح: د/ محي الدين ديب، مكتبة العصرية ، بيروت ، ط1، 1997م، 103.

[3] شعر الرمادي يوسف بن هارون ، جمع زهير جرار، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1، 1980، ص97.

ويتطور الحوار مع الحمامة عند ابن زيدون الذي لم تكتف برد السؤال عما أبكاها، ولكنها حتى يصل إلى حد الشكوى الحال والفراق ووصف الأشواق حتى باتت هي والشاعر ليلتهما يتبادلان الشكوى حيث يقول:[1]

وأرقَ العين والظلماء عاكفِةٌ ورقاء قد شفَّها إذ شفَّني حزن

فبِتُّ أشكو وتَشكُو فوقَ أيكتِهَا وباتَ يهفُو ارتِياحًا بيننا الغُصن

ومن مظاهر الطبيعة المثيرة للحنين ،"الريح والبرق" ، فالريح حين تهب وتتجمع السحب ويبرق البرق ويرعد الرعد فكذلك حال الشاعر مع محبوبته أرواح تخفق وأشواق تتلهف وبلابل لا تهدأ هذه الصورة الشاعر محبوبة ، وقد سئلت أعرابية : ما بال البرق البعد أشوق من القريب؟ فقالت : لأن القريب أرجأ والبعيد أيأس"[2]

ومن هنا فالبرق سواء كان قريبا أم كان بعيدا فهو مدعاة للشوق ، كقول يوسف هارون الرمادي:

أحِن إلى البرق اليماني صبابة كأنّي يماني الدارِ وهو يماني[3]

كأنّي من فرط الصبابة لامح أناملُ من مهدي السلامِ قواني

كأنّ البروق الخافقات معارة حشى هايمِ من شِدة الخفقان

فالبرق الذي وصفه كان أقرب صورة له مع محبوبته فكأنه يرى أناملها البيضاء تضئ لتشير إليه بالتحية وتبرق بخفقان أحشاء العاشق الولهان.

ونفس التشبيه يذكره ابن خفاجة من لمعان البرق و خفقان القلب وكأن القلب هو المخاطب والمخاطب يستمع له ليوصل سلامه إلى محبوبته عندما قال وهو يحذو حذو القدامى في تحيتهم للربع والرسم :[4]

أرقِتُ لذِكرى منزل شطَّ نازح كلِفتُ بِأنْفاس الشمال له شما

فقلت لبرق يصدع الليل لامع ألا حي عني ذاك الربع و الرسما

---

[1] ديوان ابن زيدون ، شرح وتح: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر القاهرة، ط 1957،1 م، ص162

[2] البصائر والذخائر: لأبي حيان التوحيدي، تح: أحمد الأمين ،القاهرة ،1953م، ج1، ص396.

[3] الشعر الرمادي ، ص127.

[4] ديوان ابن خفاجة ، تح: عمر فاروق الطباع ، دار القلم الطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت_ لبنان ، ط1، 1994م ،ص 200.

وأبلغ قطين الدار أني أحبه على النأي حبًا لو جزاني جما

ويقول أيضا في الريح إذ هبت له قلوب العاشق سواء أكان ريح الصبا أم ريح الجنوب :[1]

أبداً أحِن إليكِ شَوقًا كالغريبِ مع الغُروب

وأقول ريح الجنوب مع الأصيل صِلي الهبوب

فهل استطبت بي الشمال كما استطبتُ بك الجنوب

ذكر الشاعر ابن خفاجة ريح الجنوب وهي الأمل في أن تحمل أمطارا تنبت زرعا، أو دموعا تطفئ الشوق فحنينه كحنين غريب يتأمل غروب الشمس إذ الغريب والغربة يبعثان الشوق إلى الإلف.

وقال آخر:[2]

كفى حزنًا أن الديار قصِية فلا زور إلا أن يكون خَيالاً

ولاَ رسلَ إلا للرياحِ عشِية تكر جنوبًا بينَا وشمالا

فاستودِع الريح الشمال تَحية واستنشِقُ الريح الجنوب سؤالاً

وحسبي شجواً أن لي فيك أضلعًا حِرَاراً وأردانًا عليك خِضالاً

وطرفا قريحًا صام فيك عن الكرى ولا فِطر إلا أن تلوح هِلالاً

وفي هذه الأبيات يعبر فيها ابن خفاجة عن ألمه لبعد ديار المحبوبة حيث بدأ (كفى حزنا) بالنظر لكثرة أحزانه ، فالديار قصية بعيدة والزيارة خيالا .

والوقوف على الأطلال من مثيرات الحنين التي ذكرها الشعراء زمن الجاهلية ، فوقوفهم عند آثار الديار تبعث في النفس ذكريات من كان يسكنها . و يقف الشاعر الرمادي ليشبه الديار الخالية من ساكنيها بالقلب الخالي من الصبر على الحبيب فربط بين الصورتين خلو الديار كخلو القلب من

[1] نفسه ، ص55.

2ديوان ابن خفاجة، ص179

الصبر على الحبيب، ومن الشعراء من يشبه الطواف بالديار كمن يطوف بالكعبة أشواطا سبعا ورمي الجمار كرمي الدمع في موقف الغربة :[1]

وقفْتُ على الدّيار الخلاء كأنَّني وَقَفْتُ على قلبٍ مِن الصبرِ بلقع

رميتُ جِمار الدمعِ في موقِف النَّوى وقد طّفتُ أسباعًا برسمِ وأربع

ويبقى الشعراء متعلقون بالأطلال حتى بعد مغادرتهم ،ومن الشعراء من يتذكر الأيام الخوالي فيمتنع عن الرقاد يخفي أشواقه لكن الأشواق تأبى السر فسّره كعلنه لأنه فؤاده مرتهن بذكرى الأطلال كما يقول ابن زيدون:[2]

هل تَذكرون غرِيبًا عاده شَجن من ذِكْركم وجفَا أجفانه الوسن

يخفي لِواعجه والشوقُ يفضحه فقد تَساوى لديهِ السِر والعلن

يا ويلتاهُ أيَبْقى في جَوانِحه فؤاده وهو بالأطلال مرتَهن

ابن زيدون يقف على أطلال الخالية من الأنيس ،فتثيره ذكرى المكان فتضاعف حزنه وألمه بسبب الفراق ، ويرى ابن الشهيد أن دموعه تذرف ليست على ما فات وإنما على ما هو آت حيث يهون اللقاء من ألم الفراق حين يقول:[3]

بكَى أسفاً للبِين يوم التَّفرقِ وقد هون التوديع بعض الذي لَقَى

وما للذي وَلَّى بِه البِين حسرةً بكَيْتُ ولكن حسرة للذي بقى

ورسائل الشعراء الحنين والتشوق لا تكاد تنقطع ويسمى هذا التقليد برسائل العشاق فقد "يتصل المتحابان إذ عز عليهما اللقاء بالمراسلة، ومن المحبين من يرسل لمحبوبة ليجد لذة في المراسلة ولذة الجواب على الكتاب وقرب اللقاء ومنهم من يسقى الحبر بالدمع ليكتب به إلى محبوبته

[1] محمد عبيد صالح السبهاني: المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة 92هـ _422هـ، د .ط/د.ت / ص51.

[2] ديوان ابن زيدون ص163.

[3] ديوان ابن الشهيد ،ص113.

حسب ما يذكر المحبين من يسقي الحبر بدمعه[1] حسب ما يذكر ابن حزم في تهييج الرسائل للمشاعر والأحاسيس:[2]

جواب أتاني من كِتابِ بعثتُه فسكّن مهتاجاً وهيج ساكِنًا

سقيتُ بِدمعِ العين لما كتبتُه فِعال محِب ليس في الود خائبا

فما زال ماء العين يمحو سطو فيا ماء عيني قد محوتَ محاسِنَا

غدا بدموعي أول الحط بيننا وأضحى بدمعي آخر الخط بائنا

ومما يثير حنين لدي الشعراء ، زيارة طيف المحبوبة ليلا ، يقول ابن خفاجة:[3]

سمح الخيالُ على النَّوى بمزار والصبح يمسح عن جبينِ نهار

فرفعتُ من ناري لضيفِ طارق يعشو إليها من خَيالِ طاري

ركِب الدُجى أحسن به من مركب وطَوى السرى أحبب به من ساري

وأناخَ حيثُ دموع عينِي مِنهلٌ يَروي وحيثُ حشاي موقِد نار

في هذه الأبيات استعمل ابن خفاجة العديد من تشبيهات والصور كما هو ملاحظ في قوله (والصبح يمسح عن جبين نّهار)كأن الصبح يمسح ظلام الليل ليبدي جبين النهار، والطيف حط رحاله بمنبع الماء وموقد النار لكن الماء دموع تطفئ نار الشوق في الحشى إنها صورة معبرة عما تشيره المشاعر من أشواق حارة ورغم قرب الدار وبعد المزار لكن القرب يشفع للشاعر .

قدرة شعراء الأندلس من التلاعب بالألفاظ وإجادة الوصف ، ومثال هذا لابن حزم:[4]

متى تَشْتَفِي نَفس أضر بها الوجد وتصقب دار قد طَوَى أهلها البعد

---

[1] ينظر،أحمد عبد الستار الجواري: الحب العذري نشأته وتطوره ، الطبعة الأولى ، بيروت_ لبنان 2006م 217 .

[2] نفسه ،ص 218.

[3] ديوان ابن خفاجة، ص98.

[4] طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم، ص216.

وعهدي بِهندٍ وهي جارة بيتِنا وأقرب مِن هندٍ لطالِبها الهِند

بلى إن في قرب الديار لراحة كما يمسِك الظمآن أن يدنو الوِرد

فاسم هند دال على المحبوبة التي تجاوره في السكنى ولكنها تباعده في الوصل و قصد بلاد الهند البعيدة أهون عند الشاعر من سكنى هند مادام وصلها بعيد المنال غير أن القرب يحيي في النفس أمل اللقاء كأمل الظمآن باقتراب مورد الماء.

رابعا :الغربة والحنين إلى المدن الأندلسية:

عبر الشعراء الأندلسي عن أشواقهم لمدنهم التي ينتمون إليها ، ومن هنا سأعرض فيما يلي بعض أشعار الحنين للمدن الأندلسية :

- **الحنين إلى قرطبة :**

تقع على نهر الوادي كبير ، وكان السمح بن مالك الخولاني رابع ولاة الأندلس حكم المدينة عام 100إلى12 هـ ، أول من عني بعمارتها ثم تعهدها عبد الرحمن الداخل بالرعاية فبني فيها القصور الفخمة مثل قصر الرصافة وغيره، وشهدت أفضل حال لها في أيام حفيده عبد الرحمن الناصر هو الذي اعتني بالعمران وبنى مدينة الزهراء ثانية فأجمل الشاعر بن عطية أهم معالم قرطبة:[1]

بأربع فاقت الأمصار قرطبة منهى قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم أعظم شيء وهو رابعها

ويقول الأمير عبد الرحمن الأوسط في تشوق إلى قرطبة ويطلب للقصر الاستمطار:[2]

صدرت وبي للبعد مابي فزادني إلى الشوق أشواقا رجائي في القرب

أحل شدادي في السرادق نازلا وللشوق عقد ليس ينحل عن قلبي

[1] د/ إيناس حسنى البهجى : تاريخ دولة الأندلس ، مركز الكتاب الاكاديمي، 2016، ص225.

[2] تاريخ ابن خلدون ،ج4، ص189.

أقرطبة حمل لي إليك وفاده تقُر بعيني أو تمهد في جنْبِي

سقى القصر غيث بالرصافة مثله وجادت عذاليه كجودي في الجدب

ويستمطر ابن دراج القسطلي الغيث للأحبة ولساكني هذه المدينة:[1]

قل للربيع اسحب ملاء سحائب فاجرر ذيولك في مجر ذوائبي

وأمزج بطيب تحييْ غدق الحيا فاجعله سقي أحبتي وحبائبي

واجنح بقرطبة وعانق تربها عني بمثل جوانحي وترائبي

دعا لقرطبة بالسقيا وتمنى أن يحمل الربيع السحائب ويمزج ماءها بالعطر لأحبابه وأهله، أن يستقر فيه بخيره، ولقد أحسن وصف رغبته في أن يصل سلامه لأهله قرطبة مع الغيث فكأنه أراد أن يمتزج حبه بالماء والطيب وأن يعانقها بشوق كشوق الشاعر إليها.

ويقول عياض في وصف وداع قرطبة:[2]

أقول وقد جد ارتجالي وغردت حِداتي وزمت للفِراق ركائبي

وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي وصارت هواء من فؤادي ترائبي

رعي الله جيرانا بقرطبة العلا وجاد رباها بالعهاد السواكب

وحّياً زمانًا بينهم قد ألِفته طليق المحيا مستلان الجوانب

أإخواننَا باالله فيها تذكروا مودة جارٍ أو مودة صاحب

غدوتُ بهم من برهم واحتفائهم كأنّي في أهلي وبين أقاربي

[1] قلائد العقيان، ومحاسن الأعيان ،الفتح بن محمد خاقان ،تح: حسن يوسف خربوش ، مكتبة المنار ، ط1989،1م، ص98.

[2] نفح الطيب للمقري، ج1، ص544.

الشاعر هنا يصف ساعة رحيله عن قرطبة وهو يودعها بالدموع الغزار ، ويحس لحزنه أن قلبه فارقه، ثم يدعو لها بالسقيا ولجيرانه بها بأن يرعاهم الله، فقد قضى بينهم أياما لها في نفسه أبلغ الأثر لجمالها ويرجوا الأهل قرطبة أن يتذكروا مودته وحسن جواره ، ولعظم مكانتهم عنده فقد سماهم إخوانا وأهلا وأقارباً.

- **الحنين إلى غرناطة:**

أصلها أغرناطة بالهمز بلغة أهلها ، ومعناها الرمانة [1]، وهي من أشهر بلاد الأندلس سميت بدمشق الأندلس لشبهها بها من حيث كثرة المياه والمزارع ، قال عنها ابن الخطيب :"ويحف بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع الله تعالى البساتين العريضة المستخلصة والأدواح الملتفة ، فيصير سورها من خلف ذلك كأنه من دون سياج"[2]

يحن الشاعر إلى مدينته ويدعو لها بالسقيا ، ويسألها هل من سبيل العودة إليها فقد اشتد شوقه لمناظرها الخلابة وبهجة واديها ، أو كما قال أبو الحجاج يوسف سعد بن حسان:[3]

أَحِنَّ إلى غرناطة كلَّ هفًا بِمنهلِ تروي الجوي وتَشُوق

سقَى الله من غرناطة كلَّ مُنهلٍ بمنهلٍ سحب ماؤهن هرِيق

أغرناطة العلياء بالله خَبري أَلِلْهَائِم الباكِي إليك طريق

وما شاقنِي إلاَّ نضارة منظرٍ وبهجة وادٍ للعيون تزُوق

- **الحنين إلي شقر:**

جزيرة قريبة من شاطبة ، صحيحة الهواء قليلة الأدواء ، خضلة العُشب والأزاهير فقد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعصم الأساور، والروض قد عطّر جوانبها بريحه الطيبة "[4]

[1] معجم البلدان : ياقوت الحموي، ، ج6، دار الصادر بيروت ، ط4،1991م،ص280.

[2] الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ، ج1، ص17.

[3] مصدر السابق ، ص280.

[4] الحلل السندسية لشكيب أرسلان ، ج، ص189.

فهذا الشاعر ابن خفاجة يحن إلى شقر فيقول:

وحن إلى شقر فحن على السرى يخوض خليجاً أو يجوب كثِيبًا

يُؤم بها أرضا على كريمة ومرتبعاً فيها إلى حبيبًا

ونهرًا كما أبيض المقبل سلسلًا وزرعا كما أخضر العِزاز خضِيبا

ورب نسيمٍ مر يخطُر عَاطِرًا رقيق الحواشي لا يحسُ دَبِيبًا

وجدتُ به من ذلك الترب بلة ومن نور هاتِيك الأباطح طِيبًا

من هذه المقطوعة نلمس حنين الشاعر إلى شقر ، فالشقر عزيزة عليه وحبيبة إلى قلبه ، ويذكر ما يحبه بها من نهر جارٍ ، وشجر خضراء ، ثم يختم بتعبير رقيق للغاية إذ أنه لشوقه شقر فالنسيم يداعبه ويذكره بها ويخفف من لوعة أشواقه بما يشتمه من ريحها الطيبة ،أو كما قال محمد بن عائشة يقول :[1]

وهيهات حالت بين شُقر وعهدها ليال وأيامٍ تُخالُ لَياليًا

فقُل في كبيرة عاده عائِد الصبَا فأصبح مهتاجا وقد كان ساليًا

فيا راكبًا مستعجل الخطو قاصدا ألا عج بشقر رائحًا أو عاديا

وقِف حيثُ سالَ النَّهر ينساب أرقمًا وهب نسيم الأيكِ ينفثُ راقِيا

أما الشاعر أبو عمرو بن مالك فيصور لنا بعده عن شقر وأشواقه التي تعاوده تارة بعد تارة فتهيج شجنه ثم يرجو المسافر أن يزور شقر ، وأن يقف على نهرها ويتنسم هواءها الذي شبهه بالرقية ، وكأنه يوصي زائر شقر بالتمتع بما يحبه فيها كي يصفه له حين عودته منها فيخفف أشواقه ،حين يقول في مدينة شلب:[2]

أشجاك النَّسيم حيث يهب أم سنا البرق إذ يخب ويخبو

[1] معجم البلدان لياقوت الحموي ، ج3، ص354.

[2] نفح الطيب للمقري ، ج2، ص93.

أم هتوف على الأراكة تشدوا أم هتوف من الغمامة تسكب

كل هذاك للصبابة داعٍ أي يصب دموعه التي لا تصب

ذكرتني شِلبا وهيهات مني بعدمَا استحكم التباعد شاب

- **الحنين إلى جزيرة الخضراء:**

وتسمى مالِقة ، وتقع في جنوب الأندلس على مشارف جبل طارق وتعد من أرشق المدن وأطيبها وأرقها وأجمعها لخير البر والبحر والزرع ومنه قول أبو دوح الجزيري:[1]

أحِن إلى الخضراء في كل موطن حنين مشوق للعناق و للضم

وما ذاك إلا أن جسمي رضِيعها ولا بد من شوق الرضيع إلى الأم

أعلل يا خضراء نفسي بالمنَي وأقنع إن هبت رياحك بالشَّم

إذا غبت عن عيني نصيب منامها وكيف ينام الليل ذو الوجد والهم

فالشاعر يحن إلى الجزيرة الخضراء لأنه ولد وتربى فيها وكانت له كالأم الحنون ، فيعلل نفسه حين يشتد شوقه بأمنيات العودة ، ويشم عطر نسيمها.

- **الحنين إلى المرية:**

مدينة كبيرة من كورة ألبيرة ،مرفأ ومرسى للسفن والمراكب يسورها مشهور بماء الشل يضرب بها الشل في صناعة الوشي والديباج[2]، يقول ابن الحداد:[3]

لعلك بالوادي المقدس شاطئ فكالعنبر الهندي ما أنا واطئ

وإني في رياك واجد ريحهم فجمر الأسى بين الجوانح ناشئ

[1] سليم جبرائيل الخوري و سليم ميخائيل شحادة : أثار الأدهار ، القسم التاريخي ،ط1، بيروت مطبعة السورية، 1877 ص166.

[2] ينظر،معجم البلدان : ياقوت الحموي، ، ج5، ص119.

[3]ابن حداد الأندلسي: تح يوسف علي طويل ، ط1، لبنان ، دار الكتب العلمية 1990، ص140.

موارد تهيامي ومسرح ناظري فللشوق غاياتٍ لها ومبادئ

ظن الشاعر أن المرية أحد شواطئ الوادي المقدس ، ونلاحظ أنه نظر إلي آية الكريمة{ فَلَمَّا أَتَاهُ نودي يَا موسى ،إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بوادي المقدس طوي}[1]، فلم يقصد موقع الوادي بل أراد قداسة المكان وعظمته في نفسه مما جعله يشبه المرية كالواد المقدس أي في طهرها ، وتراب أرضها قد يتحول إلى عنبر بعد أن كان ترابا أنه حصى وعبق مدينته المرية التي تصل إليه عبر الريح فتشعل في جوانبه الأسى متمنيا العودة إليها.

يتضح أن عددا من شعراء الأندلس خصوا مدنهم بالحنين ، وكان لقرطبة لنصيب الأوفر من أشعارهم فهي دار الملك وحاضرة الأندلس ، واشترك الشعراء في الحنين إليها وفي وصف محاسن تلك المدن ، وأشواقهم إلى مواقع بعينها في المدينة ،كما اشتركوا وفي الدعاء بالسقيا لمدنهم ، وربما استخدم بعضهم حتى الرسائل لتحمل سلام مع الريح والبرق وقد اتسمت هذه الأشعار بذكر الطبيعة وجمالها وصدق العاطفة.

خامسا :رثاء المدن والممالك في الأندلس:

يدخل رثاء المدن والممالك في باب الحنين لما فيه من تذكر للمكان " وهو موضوع من الموضوعات الشعرية المزدهرة في الأدب الأندلسي ، وقد شهد وصف الطبيعة تطورا فاق كل التصورات ، وذلك لعظمة المحنة التي مرت بها الأندلس ومدنها ولطولها ،وهذا الموضوع يختلط ويتداخل مع مصطلح رثاء المدن التي كانت تسقط جراء حروب الاسترْداد مع رثاء الممالك التي فنيت واندثرت جراء الفتن القبلية والعصبية التي دارت بين المسلمين أنفسهم ، كزوال دولة بني أمية في المشرق بسبب الحروب التي دارت بين الأمويين والعباسيين وزوال الدولة العبادية في اشبيلية."[2] ، وهذا الفن خاص" بالأندلس رغم وجوده في المشرق ، ولكنه لم يأت في روعة وجودة الشعر الأندلسي، ومن هنا فالرثاء السياسي ينحصر في رثاء المدن وآخر في رثاء الممالك الزائلة، والعبارات الحزينة والألفاظ الباكية ،والصور الشجية ، ومن ثم فقد كان هذا الفن على درجة كبيرة

[1] طـه الآية (12).

[2] يوسف إبراهيم قطريب: أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس ، دار الكتب العلمية 1971بيروت – لبنان ، ص112.

من الشهرة والذيوع ، يقول غرسيه غومس: وقد أدركت طائفة من المراثي السياسية شهرة واسعة في الأدب الأندلسي وقد قيلت هذه المراثي في مناسبات زوال الدول مثل رائية ابن عبدون في زوال ملك بني الأفطس أصحاب بطليوس أو بمناسبة ضياع بلدات كثيرة من بلاد المسلمين "[1]

ومن هنا فالرثاء يتفرع إلى فرعين : فرع رثاء المدن ، والفرع الثاني رثاء الممالك الزائلة

✓ **رثاء المدن التي سقطت في أيدي النصارى**

- **قرطبة:** تغني الشعراء بمدينة قرطبة ذات العظمة والجمال حدائقها وبساتينها ومساجدها فتحولت إلى خراب ونهب وحرائق وتدمير ، وتحولت مدينة الزهراء الجميلة إلى رماد ، ومن الذين عاشوا على أرضها وأكلوا من ثمارها وشربوا من أنهارها ، فقاموا يبكونها بكاء شديد منهم : ابن الحزم و ابن شهيد و ابن زيدون ...

يقول ابن حزم ، حين وقف على أطلال قرطبة بعد الفتنة البربرية: "وقفت على أطلال منازلهم من الأرياض الغربية ، ومنازل البربر المستباحة عند معاودة قرطبة فرأيتها قد امحت رسومها وطمست أعلامها وخفيت معالمها ، وتذكرت أيام نشأتي فيها فأبكى ذلك عيني وهاج بلابلي وهيجني للقول فقلت:

سلام على دار رحلنا وغودرت خلاء من الأهلين موحشة قفرا

تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعًا ولا عمرت من أهلها مِثلنا دهرا

وأيتها الدار الحبيبة لا يرم ربوعك جون المزن يهمني بها القطرا"[2]

لقد رثاها الشاعر حين وقف على منازل أهلها التي طمست أعلامها وخفيت معاهدها وغيرت البلى صورتها فصارت صحاري بعد العمران وموحشة بعدما خلت من أهلها ودعى لها بالسقيا لتبعث من جديد.

[1] أنظر مجلة اللغة العربة وآدابها ، فورار امحمد بن لخضر : قراءة نماذج في رثاء مدن وممالك أندلسية ، العدد الأول 1430هـ مارس2009م معهد الآداب واللغات المركز الجامعي بالوادي ، ص130.

[2] طوق الحمامة لابن الحزم ، ص 313.

وقد يشير ابن حزم أنه قد ترك قرطبة واستقر في المرية لما ألمت بها تلك المحنة وهنا يناديها قائلا:[1]

فيا دارُ لم يُقْفِرك منا اختِبارُنَا ولو أَنَنا نستطيع كنتِ لنا قبرًا

ولكن أَقدارًا من الله أُنْفِذت تُدَمرنا طوعًا لمَا حلَّ أو قَهْرًا

ويا خير دارٍ قد تُرِكَتّ حميدة سقتكِ الغوادِي ما أجلِّ وما أسرَا

ويأخذ الشاعر في نداء المدينة متمنيًا أن تكون له قبرا ،لأنه تركها بحكم القدر الذي لا مفر منه ويطلب من الدهر أن يحمل تحيته ويُبلغها إلى أهل قرطبة في كل مكان داعيا إياهم إلى الصبر ولو كان مراً.

أما ابن الشهيد يصف حال أهلها فيقول:[2]

فلمثلَ قرطبة يقل بكاء من يبكِي بِعين دمعها متفجر

دَار أقال الله عثرة أهلها فتبربروا وتغربوا وتمصروا

في كل ناحية فريق منهم متفطر لفراقها متحير

عهدي بها والشمل فيها جامع من أهلها والعيش فيها أخضر

ورياح هزتها تفوح عليهم بروائح يفتر منها العنبر

يا طيبهم بقصورها وخدورها وبدورها بقصورها تنحدر

والقصر بن أمية وافر من كل أمر والخلافة أوفر

والزاهرية بالمراكب تزهر والعامرية بالكواكب تعمر

[1] الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي القديم إعداد امحمد بن لخضر فورار ، جامعة منتوري قسنطينة ، سنة 2004=2005م، ص187.

[2] نفسه الشعر السياسي في الأندلس ،ص189.

والجامع الأهل يغص بكل من يتلو ويسمع ما يشاء وينظر

ومسالك الأسواق تشهد أنها لا يستقل بسالكيها المحشر

ثم يخاطب ابن حزم قرطبة واصفا حالها بعد أن أقفرت قال:[1]

و أيتهَا الدّار الحبيبة لا يرم ربوعك جَونُ المزّن يهمي عليها القطر

كأنك لم يسكنكِ غيدُ أوانس وصيد رجال أشبهُوا الأنجم الزُهرَا

سنصير بعد اليُسر للعُسر طاعة لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا

أما ابن الشهيد فقد بكى قرطبة بعد أن أصبحت أطلالا فهو ينادي الطلول لكن لا تجيبه فيسأل الفراق ويتألم لجور الزمان على هذه البلد حيث جعلهم يتفرقون ، فيقول:[2]

ما فِي الطُّلول من الأحبة مخبرِ فمن الذي عن حالها نستخبر؟

لا تسألنَّ سوى الفِراق فإنه يُنبيكَ عنهم أنجدوا أم أغوروا

جار الزمان عليهم فتفرقوا بكل ناحية وبادَ الأكثر

جرت الخطوب على محل ديارهم وعليهم فتغيرت وتغيروا

فدع الزمان يصوغ في عرصاتهم نورًا تكاد له القلوب تُنوَّر

ثم يتذكر ما كانت عليه المدينة من لَمّ الشمل واخضرار العيش وعبق أهوائها الطيبة وجمالها وكمال رواقها وقصورها وخدورها الزاهية العامرْ والجامع الأعلى أسواقها حتى يقول:[3]

يا جنةً عصفتْ بِهَا و بِأَهلِهَا ريحُ النوى فتدمرتْ وتَدَمَّروا!

آسي عليكِ من الممات وحُق لي إذ لم نزل بكِ في حياتك نَفخر

[1] محمد بن أبي عامر المعافري في الشعر الأندلسي، تأليف : ياسر أبو طعمة، دار الكتب الثقافي الأردن_ إربد ، ص222.

[2] رثاء المدن الأندلسية ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، إشراف طارق ثابت ،ص20

[3] نفح الطيب للمقري 1/ ص527.

يا منزلا نزلتْ به وبأهله طيرُ النوى فتغيَّروا وتنكَّروا !

جاد الفراتُ بساحَتَيْك ودِجلةٌ والنيلُ جاد بها وجادَ الكَوْثر

طاف الشاعر على أطلال قرطبة فلم يجد سوى أطلال نعيم زائل ،وبقايا سعادة مريرة ، فبكي لذكرى الرخاء فتوجه إليها بالنداء(يا جنة) فقد كانت جنة عظيمة بالجمال في زمن بعيد منقض أتاها الخراب والدمار من كل مكان ، ففرقت أهلها ، ثم يأسى عليها، ويدعو لها بأن ينزل الغيث بساحتها لعلّه يحيي رياضها ، وأن يجود الفرات ودجلة والنيل بساحتيها.

حتى إن كانت تلك الأطلال جامدة بلا روح ، فهي عند الشعراء كائن حي كالإنسان فإذا ما فقد رثاه الشاعر وأظهر محاسنه بنبرة فيه التحسر والتفجع والبكاء على فقدانه مما يؤكد قوة وعمق الصّلة الحميمية بين الشاعر وتلك المدن الخالية .

فهذا الشاعر السمرقد وقف على مدينة (الزهراء) بعد ما طالها الخراب والدمار إثر فتنة قرطبة فبكى واستبكى ، وأنشد يقول:[1]

وقفْتُ بِالزهراء مُستعبرًا معتبرًا أندب أشتاتا

فقلتُ: يا زهراء ألا فارجعي قالت: وهَلْ يرجع ماتا؟

فلم أزل أبكي وأبكي هَيْهَات يُغنِي الدمع هيهاتا

كأَنما آثار من قد مضى نوادب يندبْنَ أَمواتًا

فالشاعر فيها يذكر مفردات الرثاء والندب والبكاء والدّموع ليعبر عن ألمه لفراق ودمار هذا المكان الحبيب الذي طالما تمتع فيه ، وذاق حلاوة العيش في ربوعه، فالشاعر عقد خطابا بينه وبينها

[1] طوق الحمامة لابن حازم ، ص 313.

وكأنه رفض موتها ويرغب في إحيائها من جديد حيث تحدثت الزهراء معه قائلة(وهل يرجع من ماتا؟ وهذه الأثار الشاعر فقد أثارت حزن والدموع الشاعر ،(فلم أزل أبكي) غير أن الدموع لا يمكنه أن تعيد ما تدمر منها مرة أخرى.

شعراء الأندلس ندبوا حاضرة قرطبة العظيمة والزهراء والزاهية ،فذرفوا الدموع على الأطلال والحنين إلى الربوع كما ذكر كل من ابن الحزم وابن الشهيد.

- **إشبيلية:**

كانت إشبيلية أعظم القواعد الأندلسية قاطبة ، والعاصمة الثانية للأندلس بعد قرطبة[1]، وهي من المدن التي كافحت غزو النصارى ببسالة وضراوة وعزم وإيمان وتصميم إشبيلية العتيدة ، قلعة المعتضد بن عباد وعرين ابنه المعتمد ، وكان من المخجل أن يشترك في هذه المعركة" الأمير " المسلم ابن الأحمر في مساعدة النصارى بالمدد والعدد انتقاما من أهل اشبيلية لرفضها الخضوع لطاعته"[2]

فهذا الشاعر ابن هارون يصف هجوم النصارى على اشبيلية واحداقهم بها ، وما أصاب الناس من ذعر وهلع حيث يرسم لنا مشاهد حزينا لما أصاب المسلمين من هول وكأنهم في يوم الحشر"[3] يقول:

ويمسوا حمص في جمع يصف به ذرع الفضاء فسوى الوهد و الأكما

فالبحر بالمنشآت ارتج من ذعر والبر بالمرهفات إرتاع فاكتتما

واستوطنوا القبر في الوادي وقام لهم جسر من الفلك لا تشكوا به السأما

فكم أسارى غدت في القيد موثقة تشكو من الذل إقداما لها حطمّا

[1] محمد عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، ج2ص464.

[2] رثاء المدن في الأندلس ،وليدة مقراني ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر ، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، السنة الجامعية 2011/2010، ص10.

[3] ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتابي ومحمد زنيبر ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ، ط1، 1985، ص381.

وكم صريع رضيع ظل مختطفا عن أمة فهو بالأمواج قد فطما

يدعوا الوليد أباه وهو في شغل عن الجواب بدمع سال وانسجما

فكم ترى والها فيهم وآلهة لا يرجع الطرق إن حاورته الكلما

يصف الشاعر حال اشبيلية بعد أن دخلها النصارى ، وقد عفت معالمها وتغيرت .

سقطت إشبيلية حاضرة الأندلس العظمى والتي كانت إلى جانب قرطبة من أعظم مراكز العلوم والآداب في الغرب الإسلامي وبها سطعت عبقريات فريدة في تاريخ الفكر الإنساني وغدت منذ تاريخ سقوطها عاصمة مملكة قشتالة ومقر البلاط القشتالي"[1]

وانحصرت رقعة الإسلام في غرناطة وظلت صامدة حتى عام897هـ ، وبزوالها انتهت قصة الإسلام في الأندلس.

ومن أشهر ما قيل في رثاء الأندلس هي نونية أبي البقاء الرندي الذي شهد دمار معظم قواعد الأندلسية يقول:[2]

لِكل شيء إِذا ما تمَّ نقصان فلا يُغَّرَ بِطيبِ العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تُبقي على أَحد ولاَ يَدُوم حالٍ لها شانُ

فتذرف دموع الشاعر الحارة على ضياع اشبيلية التي اهتزت لضياعها الدنيا واهتزت أركان الإسلام لسقوطها يقول ابن هارون:[3]

عفت يد الشرك ما شاء الخلائف قصر ومن مصنع ضخم حكى إرما

[1] . المرثية الأندلسية في زمن المرابطين ، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات حصول على درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية ، اعداد الطالبة: هند بنت أحمد العثيم، جامعة القصيم، سنة 2016=2017م ص87.

[2] نفسه ، ص87.

[3] رثاء المدن في الأندلس ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر ، إعداد طالبة وليدة مقراني، ص 11.

أبي القباب التي كانت محجية فيها الملوك تفيض الجود والكرما

وكم بطريانة أبقى الأس ندباً من القلب يبعث وجداً كلما كلمَا

كانت معاهد للذات نعمرها فلا نزاع إذ ما هاجم هجماً

كم ليلة قصرتها القاصرات فما تزال تستنطق الأوتار والنغما

عيش تقيض وأبقت بعده أسقا كأن ما كان منه في الكرى حلما

يا عين فأبكِ على حمص وقل لها منك البكاء وإذا ما ترسله دما

فقد أصيبت بها الدنيا وساكنها حقا وأصبح ركن الدين قد ثلما

حسرة و البكاء شديد على مدينتهم ، ربما رجع ذلك إلى فساد الراعي والرعية من استبداد في مصادرة أموال المحكمين قبل الحكام ، وكذا تفشي المعاصي ونشوب الحروب بينهم.

- **طليطلة:**

ذكر المقري أن أول ما استرده الإفرنج من مدن الأندلسية العظيمة مدينة طُليطلة ،إذ استولى عليها الفونسو عام478هـ وكان سقوطها في أيدي النصارى مصابا جللاً ، وقد رثاها شاعر مجهول بقصيدة طويلة منها قوله: [1]

طُليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا أنبأ كبير

وكانت دار إيمان وعلمٍ معالمِها التي طمست تنير

فعادت دار كفر مصطفاه قد اضطربت بأهلها الأمور

مساجدها كنائس أي قلبِ على هذا يغير ولا يطير؟

[1] المقري ، نفح الطيب ، ج4، 483.

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يتحسر على مدينة طليطلة التي كانت دار إيمان وعلم دار المسلمون فأصبحت تتبع للنصارى و"الذين حولوا مساجدها إلى كنائس يُسمع فيها دق النواقيس بدلا من الصوت الآذان فأي قلب يقر على هذا ولا يجزع"[1]

يذكر صاحب كتاب نفح الطيب في اليوم الذي تحول فيها جامع طليطلة إلى كنيسة " جرى ذلك اليوم وأن الشيخ الأستاذ المغامي –رحمه الله تعالى– سار إلى الجامع وصلى فيه ، وأمر مُريدًا له بالقراءة فيه ووافاه الفرنج لعنهم الله تعالى ، وتكالبوا على تغيير القبلة، فما جسر أحد منهم على إزعاج الشيخ ولا معارضته وعصمه الله تعالى منهم ، إلى أن أكمل القراءة وسجد سجدة ، ورفع رأسه ، وبكى على الجامع بكاء شديدا وخرج ولم يعرض له أحد بمكروه"[2]

ثم يتأسف الشاعر على ما آل إليه الوضع ويكرر الأسف فقال:[3]

فيا أسفاه يا أسفاه حُزنا يُكررّ ما تكررت الدّهور

وينشر كل حسن ليس يُطوى إلى يوم يكون به النّشور

أُدِيلت قاطرات الطرق كانت مَصُوناتٍ مَسَاكِنها القصور

وأدركها فُتور في انتظار يسرب في لواحظه فُتور

وكان بنا و بالقينات أولى لو انظمت على الكل القُبور

لقد سَخِنَتْ بحالتهن عين وكيف يُصبح مغلوب قرير

لئن غِبنَا عن الإخوان إنّا بأحزان وأشجان حصّور

ثم يقول:[4]

[1] مجلة علوم اللغة العربية ، العدد الأول ، ربيع الأول 1430هـ، مارس 2009، قراءة نماذج في رثاء المدن وممالك أندلسية د/ فورار امحمد بن لخضر، المركز الجامعي بالوادي ، ص 134.

[2] نفسه ، 134.

[3] نفح الطيب للمقري ، ج4، ص484.

[4] المقري ، المصدر السابق ، 4/ ص485.

كفى حزنا بأنّ الناس قالوا إلى أين التحول والميسر

أنترك دورنا ونفر عنها وليس لنا وراء البحر دور

ولا ثم الضياع تروق حسنا نباكرها فيعجبنا البكور

ويؤكل من فواكهها طَري ويشرب من جداولها نمير

- **بلنسية:**

وتعد بلنسية من أهم المدن الأندلسية التي تغلب عليها الروم ، وعاثوا فيها فسادا ، وأحرقوها ، عند خروجهم منها سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، كما جاء في قول ابن خفاجة أثناء وفادته عليها بعد أن خيم عليها الخراب والدمار:[1]

عاثت بساحتك العدا يا دار ومحى محاسنك البلى والثأر

فإذا تردد في جنابك ناظِر طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تفاذفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار

كتبت يد الحدثان في عرصاتها لا أنتِ أنتِ ولا الديار ديار

فالشاعر في هذه المقطوعة السابقة معبرا عن الخراب والدمار الذي حلّ بها بعد أن أحرقها النصارى فأصبحت موعظة لمن يراها حيث قال(لا أنت انت ولا الديار ديار) فنلاحظ تأثر الشاعر بخراب بلنسية وحزنه عليها في قوله(طال اعتبار فيك واستعبار) وفي أبياته الأخيرة يبين أن معالم المدينة طمست و آثارها وقد محيت.

وممن رثاها أيضا الأستاذ أبو عبد الرحمن بن خلصة البلنسي وذلك قوله:[1]

[1] يوسف إبراهيم قطريب :أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس ، دار الكتب العلمية 1971، بيروت –لبنان ،ص114.

وروضة زرتها للأنس مبتغيا فأوحشت بذكرى سادة هلكوا

تغيرت بعدهم حزنا وحُق لها مكان نُوارها أن يَنبت **الحسك**

لو أنّها نطقت قالت لفقدهم بان الخليط وكم يأووا لمن تركوا

فالشاعر في هذه الأبيات يصف ساحل بلنسية وما أصابه من توحش الذكرى ، وهلاك السادة ودمار وحريق بدّل حالها لما خلت من قادتها وسادتها و رجالها الذين كانوا يحسنون الدفاع عنها، فكانت أيامهم بهيجة كالحديقة الغناء ورفاهية وسرورا أما وقد زالوا فقد تغيرت الحال وساءت الأوضاع.

وهذا ابن عميرة المخزومي يذكر مدينة بلنسية عندما تغلب عليها الروم ورثاها فقال:[2]

ما بال دمعك لأنني مدْرارُهُ أم ما لقلبِك لا يفرُّ قرارهُ

أ للوعة بين الضلوع لظاعنٍ سارتْ ركائبُه وشطت دارهُ

أم للشباب تقاذفت أوطانه بعد الدّنو وأخلفت أوطارهُ

أم للزمان أني بخطب فادح من مثل حادثة خلت أعصارهُ

يبحر من الأشجان عبّ عبابه وأرتج ما بين الحشى زخَّارهُ

في هذه الأبيات استعمل الشاعر أسلوب الاستفهام مخاطبا دمعه الذي صار مدراراً ، وقلبه الذي لا ينفك خفقانا ، ولوعة التي استقرت بين حنينه على من ظعن وتركها تقاسي مرارة البعد وألم والفراق ثم يتساءل عن الأوطان التي فقدت ودمرت واستحلت وتقاذفتها المصائب فصورها وكأنها

[1] أنظر / الرثاء في الشعر الأندلسي في عصري المرابطين والموحدين، إشراف :د/ حمدي منصور، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية ، الجامعة الأردنية ، كانون الثاني ، 2010، ص162.
الحسك: نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم ، وواحدته حَسَكة ، وقال أبو حنيفة : هي عشبة تضرب على الصفرة ولها شوك يسمى الحَسَك أيضا مدحرج ، لا يكاد أحد يمشي عليه إذا يبس إلا من في رجليه خُفّ أو نعل.

[2] المصدر السابق ، ص 163.

انسان يعيش في بحر من الأحزان مضطربا ،كثير البكاء ، شديد الوجد والصبابة ، ويبحث عن الخلاص من هذه الحالة غير أنه لا يعرف لها علة أو سببا.

✓ **رثاء الممالك الأندلسية التي سقطت بيد المرابطين:**

➢ **رثاء دولة بني عباد:**

يمثل رثاء ابن اللبانة الداني لدولة بني عباد صورة الوفاء الشخصي للمعتمد الذي لم يفارقه طيلة مدة سجنه، فقد لجأ إلى الخيال الجامح ،ليلقي على الطبيعة ظلالا سوداء حزينة بحيث وجدنا كل شيء باكيا كما في قوله:

تَبكي السماء بِدمع رائحٍ غادي على **البهاليلِ** من أنباء عباد

على الجبالِ الذي هُدَّت قواعدُها وكانت الأرض مِنهم ذاتَ أوتاد

الرابياتُ عليها اليانعات ذوتُ **أنوارها** فغدت في خفضِ أوهاد[1]

ويأتي إبداع الشاعر في تعبيره عن موت الجود والكرم ، حيث ربط نداءه لطالب المكرمات بالرحيل لأنه قد رحل فحل الجدب في بيته ، لا يكتفي بالحاضر بل ينبه المتأمل والقادم أن لا وجود للمكرمات بعدهم يقول:

يا ضيف أقفر بيتْ المكرمات فَخُذْ في ضم رَحْلكَ واجمع فضلة الزاد

ويا مُؤملَ واديهم ليسكنّـــهُ خفَّ القطينُ وجفَّ الزرع بالوادي[2]

ويصف ساعة خروجهم من اشبيلية على السفن المتوجهة إلى المغرب:[3]

نسيتُ إلا غداة النهر كونهم في المنشآتِ كأمواتٍ بألحاد

---

[1] عبد اللطيف يوسف عيسى : شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، د .ط/ د.ت ، ص81.

البهاليل: بمعنى السيد/ **أنوار**: جمع نور، الزهر الأبيض.

[2] نفسه ص 81.

[3] يوسف إبراهيم قطريب :أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس ، دار الكتب العلمية 1971، بيروت –لبنان ،ص113.

والناس قد ملأوا البرين واعتبروا من لؤلؤٍ طافياتٍ فوقَ أزباد

حان الوداع فضجت كلُّ صارخةٍ وصارخ من مفدَّاةٍ ومن فادِ

سارت سفائِنهم والنَّوح يتبعها كأنّها إبل يحدو بها الحادي

كم سالَ في الماء من دمعٍ وكم حملتْ تلك القطائِع منقطعات أكباد

في إشارة إلى لحظة سقوط الدولة و اقتياد أميرها ببعض السفن عبر نهرها، وكيف كان موقف الناس الذين كانوا على ظهر السفن كالأموات الممددين في ألحاد قبورهم خامدين، والناس على ضفتي النهر ينظرون إليهم معتبرين من ذلك المشهد الرهيب على ملكهم ومن معه، وفي لحظة الكل راح يصرخ وينوح وساروا بنوحهم خلف تلك السفن ،وهم في ذلك كمنظر الإبل التي يسوقها الراعي ويخلص إلى أنها اللوحة الأخيرة من مشهد وما فيه تذرف للدموع التي عكرت صفو ماء النهر لغزارتها ، وتلك السفن وما أحرقت معها من أكباد الناس الحزينة على فراق أميرها المعتمد بن عباد."[1]

- **رثاء مملكة الأفطس:**

عُرفت بَطَلْيُوس بتشجيع الأدب شعراً ونثرا، فقد كان وإليها المتوكّل رحب الجناب للوافدين إلى جانب مهارته في الشعر والنثر"[2]

وهي من أشهر مراثي الممالك الزائلة التي نظمها الوزير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون (ت سنة 527هـ)يرثي فيها بني الأفطس ، فقد رأى الحالة البائسة التي آل إليها أولياء نعمته بعد سقوطهم وزوال ملكهم سنة 488، وما أصابهم من القتل والتشريد ، فقد نظم هذه القصيدة يستشهد بحوادث الماضي والحاضر ، كأنها أمثال تضرب وعظات تتلى "[3]

[1] المرجع السابق ، أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس، ص113.

[2] مصدر السابق ، المرثية الأندلسية ، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير ص 77.

[3] د/ خليل محمد إبراهيم: في الأدب الأندلسي قضايا والموضوعات ، ط 1، 2020، دار الخليج للنشر الأردن. عمان ، ص 73.

فيقول:

بَنِي المُظفّر والأَيَّامُ مَا برِحت مَراحِلاً و**الورى** مِنهَا عَلى سَفَرِ

سُحقًا لِيومِكُمُ يَومًا ولا حملت بِمثلهِ لَيْلةٌ فِي مُقبِل العُمرِ

مَن للأسرةِ أو من **للأعنة** أو من **للأسنة** يهديها إلى **الثغر**

من للبراعةِ أو من **لليراعة** أو مَن للسماحةِ أو للنفع والضرر

كَانوا **روَاسي** أرض الله منذ نأوا عنها استطارت بِمن فيها ولم تقر

على الفضائل إلا الصبر بعدهم سلام مرتقب للأجر منتظر

وفي قوله أيضا في قصيدته الرائية ، والقصيدة التي وصفها المراكشي بقوله" قصيدته التي أزرت على الشعر ، وزادت على السحر ، وفعلت بالألباب فعل الخمر فجلت على أن التسامي ، وانفت من أن تضاهي ، فقل لها نظير وكثر إليها المشير"[1] وفيها يقول :

الدهر **يفجع** بعد العين **بالأثر** فما البكاء على الأشباحِ والصور

فلا **تَغُرنَكَ** من دنياك نومتها فما صِناعة عينيها سوى السهر

ما لليالي ؟ **أقال الله عشرتنا** من الليالي وخانتها يد **الغِيرِ**[2]

أراد من خلال هذه الأبيات أن المصائب قد أخطأتك إلي غيرك، فتظن أن الأيام أغمضت عينها عنك كي لا تحلق بها الأذى لأن الدنيا كما قال تحترف السهر وتتبع الجميع بلا استثناء ولن تغفل عن أحد. ويقول في وصف زوال الملك من سالف الدهور:[3]

بنو المظفر: ملوك بني الأفطس على مدينة بطليوس القريبة من غرناطة ، وهم ملوك الطوائف./ **الورى** : الخلق/ **الأسنة** : جمع سنان وهو سنان الرمح/ **الثغر** : جمع الثغرة وهو ما بين النيرقوتين من النحر / **اليراعة** : القلم / **الرواسي** : الجبال الثابتة.

[1] المعجب للمراكشي ، ص83.

[2] المرجع السابق ، في الأدب الأندلسي قضايا والموضوعات ، خليل محمد إبراهيم ، ص 72.

يفجع: يصيب/ تغر: تخدع/ **أفال الله عشرتنا**: خلصنا من العثرة وأنهضنا منها/ **الغير**: أحداث الدهر ونوائبه.

[3] أنظر ، رثاء المدن في الأندلس ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، إشراف الأستاذ: طارق ثابت، ص 24 .

كم دولةٍ ولِيت بالنَّصرِ خِدمتها لم تُبق منها وسل ذِكراك من خَبر

واسترجعت ساسان ما وهبت ولم تَدع لِبني يونان من أثر

وأَلحقت أختَها طَسمًا وعاد على عادٍ وجرهم مِنها ناقِص المِرر

يقول أنه لا غرابة في زوال ممالك بني المظفر فقد زالت قبلهم دولة مرفوعة الرايات بالنصر دلالة على عظمتها وقوتها كما اختفت ممالك معروفة الفضل عظيمة الحضارة ، ويمثل لها بني ساسان بفارس واليونان وببيزنطة ومن قبلهم كانت وعاد وجرهم ولم يبق من هذه الحضارات والممالك سوى الأخبار والسير.

وفي الأخير نستنتج من خلال عرضنا ما دُوِنَ بعض أشعار أهل الأندلس في التحسر على المدن الأندلسية التي خربت إذ بكى بعضهم ملوك الدول الذاهبة حين وقف على أطلال مدنهم كانت عامرة بهم مثل مدينة الزهراء ويبكي بعضهم المدن التي دخلها النصارى مثل: مدينة إشبيلية وطليطلة وبلنسية فوصفوا ما كانت تتمتع به تلك المدن من حضارة وعمران ، ويبكوا دار الإسلام التي عطلت فيها شرائعه ، ووصفوا حال أهل المدن ساعة خروج ملوكهم، وما أصابهم من ذل وحسرة وأسى وألم.

من خلال إنجازي لهذا البحث توصلت إلى استخلاص بعض النتائج أذكر منها:

وجدنا في الشعر الجاهلي من عناصر وصف الطلل : وصف تحية الديار ، ومخاطبتها ، ووصف استعجامها ، واستنطاقها ونسبتها للصاحبة، ووصف الوقوف ، وذكر زمن الوقوف ، البكاء وتشبيه النساء بالظباء ، ووصف الأثافي والسفع والنؤي والدمن ووصف دروس الطلل ، وانطماس معالمه وتعفية الرياح والأمطار له ،ودعوا له بالسقيا.

ولقد لمحنا طريقة تناول الشاعر الجاهلي لوصف الهوادج والحمول وصفا تفصيليا في ألوانها وزخارفها ، ونقوشها و وصف طريق الظعينة ومسالكها وهذا يدل على الألم والفراق .

تحولت الحبيبة في شعر إلى مكان أو اندمجت به وقد أصبح حضور المكان في الجاهلي نجده في قصائد الحنين الأندلسية أيضا .

كان الوقوف على الديار في الشعر الأندلسي تعبيرا عن الشوق والحنين إلى ما اشتاقت إليه النفس من ديار وأوطان وأيام شباب ولهو .

لقد سعى شعراء الأندلس إلى الخروج عن الموروث الجاهلي والتجديد في مختلف المجالات الحياة الاجتماعية والثقافية وهذا نتيجة لما تميزت به الأندلس بطبيعة ساحرة واحتوائها على مناظر الخلابة من حدائق ورياض وأنهار ، وقد أثرت بالغ التأثر على الشعراء الأندلسيين ودفعهم بقوة إلى تحريك خيالهم وشحذ قرائحهم ، فتغنا بمناظرها في لوحات شعرية فهذا الغرض برز خاصة في الشعر الأندلسي لما امتاز به وصفها ، فاختلفت عن الشعر العربي المشرقي، وتفاعل الشاعر الأندلسي تفاعلا صادقا نتيجة تأثره بسحرها المباشر. كما دل على أهمية المكان لدى الشاعر الأندلسي ونشوء علاقة حميمة بينهما وإعطائه عدة دلالات كما ذكرناها الحنين إلى البيئة الأندلسية ، والحنين إلى المحبوبة وحنين إلى بلدهم الغائب ليصبح بذلك شاعر غربة ينظم أشعار تفيض بكل معاني الحزن والاشتياق للوطن.

كما لوحظ أن علاقة الشاعر بالمكان في الغالب كانت مرتبطة بوجود الحبيبة أو الصاحبة فالشاعر قد عشق المكان كما عشق صاحبته المرتبطة به ، فكان سببا للتغني به واستحضار ما فيه من لحظات جميلة ولقاءات وقعت بين الحبيبين.

كما ختم البحث في فصل الثاني بالرثاء السياسي مركزا على رثاء قرطبة وبكائها بعد خرابها ورثاء مدن وممالك الأندلس التي سقطت في أيدي النصارى ، ورثاء زوال الممالك بعد توحيدها في شعر حزين صادق.

_الحمد الله رب العالمين _ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أولا المصـــــــــادر:

-القرآن الكريم

1) ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين، تح: محمد إبراهيم الكتابي ومحمد زنيبر دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ، ط1، 1985
2) ابن قتيبة : الشعر والشعراء والطبقات الشعراء ' حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحة ،ط1 1418-1997م دار الكتب العلمية بيروت –لبنان
3) أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة (مجموعة مسامرات في فنون شتى حاضر فيها الوزير أبا عبد الله العارفي في نحو أربعين ليلة، ضبط وتصحيح : أحمد أمين ، وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت _ لبنان ، د.ت ج2.
4) أبي حسن علي بن بسام الشنتمري : الذخيرة في محاسن الأهل الجزيرة ، تح: حسان عباس، مجلد1 ، دار الثقافة بيروت –لبنان
5) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان و التبيُن ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ج3، ط7، 1418هـ =1998م
6) أبي فرج الأصفهاني: الأغاني شرحه وكتب هوامشه، أ/ علي مهنا و أ/ سمير جابر ، طبعة جديدة مصححة ومنقحة،ج1 دار الكتب العلمية 1971، بيروت _لبنان .
7) أبي محمد زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي: الجمهرة أشعار العرب ، صححه أ/ علي فاعور ، دار الكتب العلمية 1971،بيروت- لبنان
8) أحمد محمد الشاكر عبد السلام محمد هارون المفضليات: ،دار المعارف ط6
9) الإمام أبي القاسم محمود بن محمد الزمخشري: الكشاف ، رتبه و ضبطه :محمد عبد السلام شاهين، ج1، دار الكتب العلمية 1971،بيروت _لبنان
10) جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضيل إبراهيم، ج3،د/ط، د/ت، دار الكتب العلمية
11) الجبوري يحي : الشعر الجاهلي : خصائصه وفنونه، ط4، بيروت ، مؤسسة الرسالة1403=1983.
12) الجبوري يحي: قصائد الجاهلية نادرة، ط2، بيروت مؤسسة الرسالة، 1408=1983

13) حسن عطوان : مقدمة القصيدة في العصر الأموي ، دار الجبل بيروت–لبنان ط2، 1407–1987.

14) د /عزة حسن شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية إلى نهاية ق 3دراسة تحليلية ،دمشق 1388هـ -1968

15) د/ علي بن محمد الجرجاني :التعريفات، طبعه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ط1، دار الكتب العلمية بيروت _لبنان هـ1403=1982م.

16) سيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس ، تح التبرزي، الحجازى ، ج15، 1395هـ=1975م ، الكويت

17) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر 1

18) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات ، ج9.

19) شوقي ضيف :العصّر العباسي الأول ،دار المعارف ، مصر ط3، د/ت.

20) الطاهر المكي: امرئ القيس ، دار المعارف ط4، 1949،نقلا عن عبد العزيز نبوي دراسات في الأدب الجاهلي

21) عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ج2، ط1، 1984

22) عبد القادر بن عمر البغداوي ، خزانة الأدب 1030_1093، تح : عبد السلام محمد هارون ، ج 11 ط1403هـ _ 1983، القاهرة

23) عبد مالك مرتاض السبع معلقات مقاربة سيميائية انثرويولجية دراسة منشورات ،اتحاد كتاب العرب 1998،

24) عطوان حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، دار المعارف ، مصر ، ط 1، 1970،

25) علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي : تفسير الخازن، ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين، ج4 دار الكتب العلمية بيروت –لبنان

26) علي ، فاضل عبد الواحد : عشتار و مأساة تموز ، دار الشؤون الثقافية، ط2، بغداد ،1986

27) علي عبد المعطي محمد: قضايا الفلسفية العامة ومباحثها ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط2، 1984،

28) قلائد العقيان، ومحاسن الأعيان ،الفتح بن محمد خاقان ،تح: حسن يوسف خربوش ، مكتبة المنار ، ط1989،1م

29) محمد بن أحمد ، المعروف بابن طباطبا العلوي عيار الشعر ، تح: طه الحاجري، و د/ محمد زغلول سلام مكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة 1956،

30) محمد عبيد صالح السبهاني: المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة 92هـ _422هـ، د .ط/د.ت .

31) محمد مرتضي بن الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس تح: ع المنعم خليل إبراهيم وكريم السيد محمد محمود دار الكتب العلمية 1971، بيروت

32) يوسف الخليف: دراسات في الشعر الجاهلي، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ط1 1981

ثانيا: الـــــدواويـــــن:

33) النابغة الذبياني: ديوان ، شرح وتقديم : عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية 1971

34) ابن خفاجة ، تح: عمر فاروق الطباع ، دار القلم الطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت_ لبنان ، ط1، 1994م

35) ابن هانئ الأندلسي ، شرحه : د/ عمر فاروق الطباع ، دار القلم ، بيروت لبنان ، ط1، 1418هـ=1998

36) أبي نواس: الحسن بن هانئ ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ،بيروت–لبنان ،د/ط ، د/ت،

37) الأعشى الكبير ميمون بن قيس ،د/ط ،د/ت.

38) بشار بن برد، اعتني به السيد محمد بدر الدين العلوي ،بيروت دار الثقافة، ط1

39) بشر بن أبي خازم الأسدي ، د/ط، د/ت

40) حاتم الطائي ، شرحه وقدم له: أحمد رشاد، دار الكتب العلمية 1971، بيروت لبنان

41) حسان بن ثابت، شرحه أ / عبد أ مهنا، دار الكتب العلمية، 1971، بيروت _لبنان

42) ذو الرمة: ديوان: اعتنى به وشرحه غريبة، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة ،بيروت لبنان ط1، 2006/1427،

43) الرمادي يوسف بن هارون ، جمع زهير جرار، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط1، 1980،

44) زهير بن أبي سلمى : شرح ديوان ، صنعة: الإمام أبي العباس أحمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب، نسخة مصورة:136هـ3=1944، دار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1384هـ= 1964م،

45) زهير بن أبي سلمى ، شرحه : عمر فاروق الطباع/ دار القلم ، بيروت_ لبنان

46) زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له :أ/ علي فاعور ، دار الكتب العلمية 2003، د/ط ، بيروت لبنان

47) الشماخ بن ضرار ، ديوانه ، ط1، دار الكتاب العربي ، بيروت ،1994م

48) طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطيب ،ط2، 2002، بيروت

49) طرفة بن العبد، شرحه : د/ عمر فاروق الطباع ،دار القلم .

50) عبيد الله بن القيس الرقيات: ديوان ، شرحه وضبطه له: د/ عمر فاروق الطباع، بيروت _لبنان 2016

51) عبيد بن الأبرص : الديوان ، شرح أشرف أحمد عدرة،ط1 ،بيروت _ لبنان ، دار الكتاب العربي1994،

52) علقة الفحل: شرح الديوان، شرحه الأعلم الشنتمري ، تقديم د/ حنا نصر الحي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 هـ1414=1993م

53) عمر بن أبي ربيعة : شرح ديوان ، شرحه وقدم له : عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ،23-93هـ ، د/ط

54) عنترة بن شداد: الديوان ، اعتنى به وشرحه ، حمدوطماس ، دار المعرفة ،بيروت _لبنان ، ط2، 2004

55) محمد رمضان : الدّر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، د.ط ، د.ت

56) مهلهل بن أبي ربيعة، الديوان شرح طلال ، بيروت دار العلمية ،1993

ثالثا: معاجم:

57) ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1.

58) ابن المنظور : لسان العرب، مجلد3، دار الفكر د.ط/ د.ت/.

59) ابن منظور: لسان العرب مج 6 ، ج48

60) أرسطو طاليس: : الطبيعة ، ترجمة اسحق بن حسين ، تح: عبد الرحمن بدوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط2 1994

61) جميل صليبا : المعجم الفلسفي (عربي ، فرنسي، إنجليزي لاتيني)، د/ط دار الكتاب اللبناني ج2،1982

62) الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، م3.

63) مراد وهبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط5، 2007،

64) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج6، دار الصادر بيروت ، ط4،1991م.

رابعا: المراجع

65) أ حمد محمد الخوفي : الغزل في الشعر الجاهلي ، دار القلم ، بيروت ، د/ط .

66) ابراهيم شمس الدين : مجموع أيام العرب في الجاهلية و الإسلام ، دار الكتب العلمية بيروت_ لبنان

67) إبراهيم شمس الدين: قصص العرب ، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ= 2003 بيروت- لبنان

68) أبو فضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري لسان العرب ، دار صادر بيروت، لبنان 1914-1994م

69) أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط2، ج4

70) أبي غالب محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي، منتهى الطلب من أشعار العرب ، اعتنى به :محمد مصطفى محمود زهران ، دار الكتب العلمية 1971، بيروت _لبنان

71) أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ط4، 1436هـ=2015م دار المعرفة بيروت-لبنان.

72) أحمد عبد الستار الجواري: الحب العذري نشأته وتطوره ، الطبعة الأولى ، بيروت_ لبنان 2006م .

73) أحمد محمد الخوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ط4 مزيدة ومعدلة ، مصر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها .د.ت.

74) أسامة بن منقد ، المنازل والديار ، تح الأستاذ مصطفى حجازي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2008

75) الإمام المشر أبي حفض عمرو بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب ،تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، ج20، دار الكتب العلمية، 1971،بيروت –لبنان

76) الأمدي ،الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، حقق أصوله وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد ، المسيرة ،د.ط بيروت.

77) بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني : المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية ، تح : محمد باسل عيون السود الجزء الثاني، بيروت –لبنان 1971

78) بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة ، تقديم السيد اسماعيل دولة الإمارات ، العربية المتحدة ، دار الثقافة والإعلام 2002.

79) حسن بن رشيق :أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، شرح: صلاح الدين الهواري وهدى عودة ، دار الجيل بيروت _ لبنان

80) حسين مجيد العبيدي : نظرية المكان في الفلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافة العامة ، بغداد ، ط1.

81) حنا الفاخوري : تاريخ الأدب في المغرب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ،ط1، 1417هـ = 1997م

82) خطيب أبي زكريا يحي بن علي التبريزي: شرح القصائد العشر، ضبطه وصححه أ/ عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية بيروت _لبنان ، د/ط، د/ت

83) د/ اسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة الغريب ،ط2

84) د/ إيناس حسنى البهجى : تاريخ دولة الأندلس ، مركز الكتاب الاكاديمي، 2016

85) د/ خليل محمد إبراهيم: في الأدب الأندلسي قضايا والموضوعات ، ط 1، 2020، دار الخليج للنشر الأردن ـ عمان

86) د/ سعيد اليومي ، فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي ، د/ط ، د/ت

87) د/علي البطل : الصورة الفنية في الشعر العربي حتى نهاية القرن 2هـ، دراسة في أصولها وتطورها ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر 1980م

88) درّيّة عبد الحميد حجازي: الظعينة في شعر العصر الجاهلي، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية بالمنوفية

89) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لأبي حسن علي بن بسام الشنتمريني ، تح: د/ إحسان عباس ، ليبيا تونس الدار المعرفة للكتاب 1395هـ =1975م، مج 2، ق1

90) الرباعي، عبد القادر : الطير في الشعر الجاهلي ، ط1، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1998، د/ط

91) زياد محمود مقدادي، المقدمة الطللية عند النقاد المحدثين، ابريد عالم الكتب الحديث ط1 2009

92) سراته البشير: الشعر الجاهلي وتجاذبات البساطة و الفخامة، دار الكتب العلمية1971، د/ط ، بيروت _لبنان

93) سعيد ضناوي: أثر الصحراء في الشعر الجاهلي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1، 1993

94) سندس محمد عباس السعدي الباحثة دلالة النار في الموروث القديم ، ،كلية القانون ، جامعة القادسية.

95) سيزا قاسم ، القارئ والنص ، المجلس الأعلى الثقافي ،2002

96) شعر أبي عبد الله بن الحداد الأندلسي، جمع وتحقيق و تقديم: منال فيزل، ط1، 1405هـ=1985م.

97) الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني،: نفح الطيب ،شرحه و ضبطه د/ مريم قاسم طويل و يوسف علي طويل ج4بيروت _لبنان 1971

98) عبد اللطيف يوسف عيسى : شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، د .ط/ د.ت

99) عبد الله خضر حمد: قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، العراق –أربيل

100) عبد الله كنون الحسني : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، بيروت_ لبنان ، ج3، د/ط ، د.ت .

101) عبد الواحد للمراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ، تح: محمد سعيد العريان ، لجنة إحياء التراث الإسلامي بمصر طبعة 3. 1963م

102) عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والفن ، مكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر ط1، 1994.

103) علي مطشر نعيمة، عبد الكاظم عذاري: صورة البحر ودلالتها في شعر ابن حمديس.

104) فوزي عيسى : الأدب الأندلس في عصر الموحدين ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، 1430هـ =2009م.

105) القيسي ، نوري حمودي . وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، ط1،بيروت ، دار الإرشاد 1970،

106) مارون عبود : أدب العربي ،دار مارون عبود الثقافة ،بيروت ،طبعة جديدة 1968

107) محمد بن أبي عامر المعافري في الشعر الأندلسي، تأليف : ياسر أبو طعمة، دار الكتب الثقافي الأردن_ إربد

108) محمد عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، ج2

109) محمد مصطفى علي حسانين : استعداد المكان (دراسة في آليات السرد والتأويل)،رواية(السفينة) لجبرا ابراهيم جبرا (نموذجا) سلسلة آفاق عربية ، مصر 2002

110) نور الدين السيد :الشعرية العربية دراسة في تطور الفني للقصيدة العربية حتى العصّر العباسي ،ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،2007،ج2،

111) النويري، شهاب الدين أحمد ، نهاية الأدب في فنون الأدب ، القاهرة ، دار الكتب ، د/ت ،1.

112) يوسف إبراهيم قطريب: أدب الوفادة لدى أدباء الأندلس ، دار الكتب العلمية 1971بيروت – لبنان

113) يوسف غليمات : جمالية تحليل الثقافي _ الشعر الجاهلي نموذجا_ دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 2002

خامسا: الأطـــــروحات

114) أبعاد المكان في الشاعرية المرأة العربية المعاصرة ، جميلة عبد الرحمن المنبع رسالة دكتوراة ، كلية التربية للبنات بالرياض 1424=1425هـ.

115) بنية القصيدة الجاهلية ، إعداد طالبة سعيدة علي عبد الواحد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، تخصص الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية ، سنة 2006_2007

116) رثاء المدن في الأندلس ،وليدة مقراني ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر ، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، السنة الجامعية 2011/2010

117) الرثاء في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين ، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية ،إعداد : مهدي عواد الشموط، الجامعة الأردنية، كانون الثاني 2010.

118) الشعر السياسي في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه دولة في الأدب العربي القديم إعداد امحمد بن لخضر فورار ، جامعة منتوري قسنطينة ، سنة 2004=2005م

119) المرثية الأندلسية في زمن المرابطين ، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات حصول على درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية ، اعداد الطالبة: هند بنت أحمد العثيم، جامعة القصيم، سنة 2016=2017م

سادسا: مـــــجالات:

120) أحمد موساوي: طقوس الاستمطار في الشعر الجاهلي، مجلد مقاليد، العدد10/ جوان 2016، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر

121) الجبوري : كامل عبد ربه : النار ودلالتها الفنية والموضوعية في الشعر الجاهلي ، مجلة اللغة العربية وآدابها ، جامعة القادسية ، العدد2010،7

122) سعيد محمد الفيومي، فلسفة المكان في المقدمة الطللية في الشعر الجاهلي، مجلة الجامعة الإسلامية ، مجلد 15، العدد الثاني ،2007

123) فورارا محمد بن لخضر : قراءة نماذج في رثاء مدن وممالك أندلسية ، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد الأول 1430هـمارس2009م معهد الآداب واللغات المركز الجامعي بالوادي

124) المرقش الأكبر و اسهامة في التأسيس لتقاليد القصيدة العربية الغزل العذري ، فاطمة حسن العبد الفتاح ، مجلة الأثر العدد25جوان2016، جامعة الأمير سطام عبد العزيز ، السعودية

125) نوري حمودي القيسي : لوحة الطلل في القصيدة الجاهلية ،مجلة الأقلام العدد11، بغداد

ملخص

تناولت هذه الدراسة مقدمة القصيدة بين عهدين: الجاهلي والأندلسي ، عرض وتحليل وتتكون هذه الدراسة من مقدمةومدخل وفصلين،خاتمة، وقد بينت في المقدمة سبب اختاري لموضوع الدراسة و منهجي الذي سلكته في البحث فيه ،أما المدخل فكان عرضا مبسطا لتاريخ المقدمة الطللية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي. وتضمّن الفصل الأول الحديث عن"فلسفة المكان وآثاره " وكانت البداية التعرف على الطلل في مقدمة القصيدة الجاهلية درست جزيئاتها الصغرى والكبرى تمثلت في الدمن ، الثمام ، النؤي ، رحلة الضعائن ، ومدى تأثر الطلل لعوامل التعرية عبر الزمان فالرياح الشمال تزحزح الرمال والدمن، ودعوة الاستمطار بالسقيا لأنه معادل موضوعي الدموع الشاعر على مكان وشبهوا الحمائم بمناصب الثلاثة ، الطائر الغراب رمز البين والفراق .

أما الفصل الثاني ب" تحولات المقدمة في القصيدة الأندلسية " فهي متمثلة في أبعاد مدن الأندلسية قصر الزهراء، قرطبة، مساجدها، معالم أثرية التي تحولت من صورة المتناقضة مملوءة بالأنس وحياة كأنه فصل الربيع ، أما الجاهلي يذكر أنها شقاء وخراب ودمار كأنه فصل شتاء.

وأتممت بحثي بخاتمة وقفت فيها عند الخصائص العامة التي توصلت إليها من دراستي للموضوع.

الكلمات المفتاحية : مقدمة القصيدة ،بين عهدين، الجاهلي، الأندلسي ، عرض وتحليل.

Summary

Praise be to God Lord of the worlds, and may blessings and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, our master Muhammad, his family and all his companions .. As for: This study dealt with the demand in the pre-Islamic poem and Andalusia a balancing study, and this study consists of an introduction, an introduction, two chapters and a conclusion, and I showed in criticism a reason for my choice of the topic and my methodology that I followed in researching it, as for the entry, it was a simplified presentation of the history of the pre-Islamic preface from the pre-Islamic era to the Abbasid era and included the chapter The first talk about "the philosophy of place and its effects", which divided it into seven topics, namely (weeping over the ruins, moving nature, rhetoric of silence, and the journey of the weak, the cultural and the fire)

The second chapter , entitled: “Changes of the Paleontology in the Andalusian Environment”, has been divided into five sections (aspects of Andalusian nature, the impact of the Andalusian environment on the psyche of the poet, nostalgia for the Andalusian environment, nostalgia for Andalusian cities, and lamentations of cities and kingdoms). I completed my research with a conclusion, in which I examined the general characteristics that I came up with through my study of the topic.

Key words: The Talal, the pre-Islamic poem, the Andalusian poem, a balancing study.

Résumé

Louange à Dieu, Seigneur des mondes, et bénédiction et paix soient sur le plus honorable des prophètes et messagers, notre maître Muhammad, et sur toute sa famille et ses compagnons. Quant à: Cette étude traite de la demande dans le poème préislamique et en Andalousie d'une étude d'équilibrage. Cette étude se compose d'une introduction, d'une introduction, de deux chapitres et d'une conclusion. Elle a expliqué dans la critique une raison de mon choix du sujet et une conclusion. La méthodologie que j'ai suivie pour la chercher. Quant à l'entrée, c'était une présentation simplifiée de l'histoire de l'introduction préislamique de l'ère préislamique à l'ère abbasside et comprenait le premier chapitre moderne sur «la philosophie du lieu». Et ses effets », qui l'ont divisé en sept thèmes, à savoir (pleurer sur la ruine, remuer la nature, faire taire la parole, le voyage des faibles, la civilisation et le feu)

Le deuxièm chapitre, intitulé: «Changements de la paléontologie dans l'environnement andalou», a été divisé en cinq sections (aspects de la nature andalouse, impact de l'environnement andalou sur la psyché du poète, nostalgie de l'environnement andalou, nostalgie des villes andalouses et lamentations des villes et des royaumes). J'ai terminé ma recherche par une conclusion, dans laquelle j'ai examiné les caractéristiques générales que j'ai dégagées à travers mon étude du sujet.

Mots clés: Le Talal, le poème préislamique, le poème andalou, une étude d'équilibrage

العناوين	الصفحة
الإهداء	
شكر والعرفان	
المقدمة	أ_ب
مدخل التصور النظري مسارات التاريخية للمقدمة الطللية	
عصر الجاهلي	04
عصر الإسلامي والأموي	05
عصر العباسي	11
الفصل الأول فلسفة المكان و أثاره	
جزيئات الطلل	19
بكاء على الطلل	19
الطبيعة المتحركة/ الطير والحيوان	19
حقل الحيوان	19
حقل الطير	21
صمت الديار	30
تعرية المكان/ الرياحوالأمطار الديار	34 44
رحلة الضعائن و وصف الهودج	46
الأثافي	56
النار	63
الفصل الثاني تحولات مقدمة القصيدة الأندلسية	
مظاهر الطبيعة الأندلسية	71
أثر البيئة الأندلسية على نفسية الشاعر	79

الحنين إلى البيئة الأندلسية	**90**
الغربة والحنين إلى المدن الأندلسية	**95**
رثاء المدن والممالك في الأندلس	**101**
رثاء المدن التي سقطت في أيدي النصارى	**101**
رثاء الممالك الأندلسية التي سقطت بيد المرابطين	**111**
الخاتمة	**119**
المصادر والمراجع	**121**
ملخص باللغة العربية والفرنسية والإنجليزي	